

أهل دنقل

الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله



أبو عبدو البغل

أصل دنقل

الأعمال الشريفة والكامرلة

مكتبة مدبولي

القاهرة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

مقدمة

الدكتور / عبدالعزيز المقالح

« أمل دنقل .. أحاديث وذكريات »

لم تكن وفاة أمل دنقل مفاجأة لأحد من الأدباء في الوطن العربي . فقد كان كثير منهم يعيشون على أعصابهم قلقاً وانتظاراً لإعلان نبأ الوفاة ، فمنذ ثلاثة أعوام والشاعر الكبير يتعذب ويتساقط قطرة قطرة ونبضاً نبضاً ، وكان واضحاً بعد اكتشاف نوع الداء الذي انشب أظافره في الجسد النحيل أنه لن يبرح حتى يسلمه للموت ، وأنه لا أمل في العلم ، وأن أقصى ما يقدمه للإنسان العاجز لا يزيد عن تأخير ساعة الوفاة أو إطالة أيام العذاب !!

ومن الملاحظ - ألاحظ ذلك في نفسي - أنه بالرغم

من أن وفاة الشاعر الكبير لم تكن مفاجأة إلا أن إعلانها المتأخر قد هز المشاعر وكان بمثابة صدمة عنيفة لأصدقاء الشاعر ومحبيه أفقدهم القدرة على الكتابة الشعرية أو النثرية على حد سواء ، وبما أنني أحد أصدقاء أمل دنقل واحد الذين رافقوه وقراوه عن قرب ، فقد أفقدني النبأ المتوقع القدرة على التفكير والقدرة على الإمساك بخيوط التعبير عن ألم الوداع ، واكتفيت باسترجاع بعض الأحاديث والتقاط صور بعض الذكريات الغارقة في قاع الذاكرة ، وبعض هذه الأحاديث والذكريات يعود إلى أيام قليلة وبعضها الآخر يرجع إلى سنوات ، فقد عرفت الشاعر الراحل في أواخر الستينات وقبل أن يظهر ديوانه الأول الذي شغل به الشعراء . وقد ربطت بيننا - منذ أول لقاء - مودة كبرت مع الأيام واتسعت في رحاب الكلمة وزاد تقديري له وإعجابي به عندما أصبح شعره كله صوتاً مكرساً لقضية الشعب العربي في مصر . وبما أن الأحاديث والذكريات عن أمل دنقل الصديق والشاعر - كثيرة وحاضرة بكل وقائعها ورموزها فإنني سأحاول اختيار أقلها

وأقربها إلى الوجدان العام - ولأن النهاية دائماً هي الأقرب وهي في حد ذاتها الذاكرة التي لا تمحى فلنأخذ سبباً من النهاية .

الحديث الأخير :

حدثني صديق كان في القاهرة منذ أسابيع فقال :
ذهبت إلى المستشفى الذي يرقد فيه الصديق المشترك أمل دنقل ، دخلت الجناح الذي يقيم فيه ، وسألت إحدى الممرضات عنه فأشارت بيدها نحو غرفة معينة ، فتحت الباب ونظرت داخل الغرفة باحثة عن أمل الذي ودعته منذ خمس سنوات ، لم أجده هناك رأيت إنساناً لا يمكن أن يكون هو الشخص الذي أعرفه عدت أدراجي بعد أن أغلقت الباب ورائي وذهبت مرة أخرى إلى الممرضة لأسأله عن غرفة أمل دنقل الشاعر ، فأشارت مرة أخرى إلى نفس الغرفة ، وعدت لأفتح الباب وأفتش في جوانب الغرفة عن أمل فلم أجده وهممت بالتراجع مرة ثانية إلا أن أمل عرفني فناداني باسمي . صوته هو الذي لم يتغير ، أما

جسمه فقد صار شيئاً آخر ، أي عذاب رهيب يفوق الخيال هذا الذي تعرض له الشاعر ؟ هكذا سألت نفسي وأنا أتوجه نحو السرير الذي يرقد عليه ، وكنت قد قررت أن أتمالك وأن لا يبدو على وجهي أي تأثر أو انفعال بشيء في نفسه ، ، الألم ، الأني ، ما كدت أراه بتلك الحال حتى انفجرت باكياً ، لكنه قابل بكائي بابتسامة عريضة ثم سألتني : لماذا تبكي ؟ اتخاف علي من الموت إنها منيتي المفضلة ، إنه الأمل الأخير ، الطبيب الذي يتفوق دائماً على أمهر الأطباء .. وواصل ابتسامته المنكسرة ، ولاحظت أن قدراً كبيراً من الشجاعة ظل يشع من ملامح وجهه الغائر ..

ومضيت مع الصديق نتجاذب أطراف الحديث وتذكر أمل دنقل القديم ، سنوات العذاب الطويل ، أيام التسكع والجوع ، خلال الفترة التي اشتدت فيها وطأة القهر والظلم والفقر والمطاردة على أمل دنقل قبل أن تشتد عليه وطأة المرض القاتل . قال لي الصديق الذي لن أذكر اسمه بسبب الفقرة التالية من الحديث : لقد كنت في

القاهرة منذ سبع سنوات ، رايت خلالها امل دنقل اذتر من مرة وذات يوم رأيت كالعاده يذرع الطرقات بحثاً عن صديق يدفع له ثمن الغداء . وعندما رأني توجه نحوي قائلاً : نصف جنيه ، نصف جنيه فقط ثمن الغداء .

وعندما كنت معه في المستشفى منذ أسابيع مددت يدي إلى جيبي وأخرجت خمسمائة جنيه وقدمتها إليه في خجل ، ضحك أمل دنقل من تصرفي غير المهذب ، وقال لي : اطو أوراقك يا أخي فلم أعد بحاجة إليها ، كنت منذ سنوات كما تذكر بحاجة إلى ورقة واحدة منها ، وكانت ورقة واحدة تكفي لتسعدني يوماً أو أكثر أما الآن فلا قيمة لها عندي ، إن ما في العالم من هذه الأوراق لا سز شعرة في جفني ، ولا يخفف الم دقيقة واحدة من عذاب الطويل المرير !!

أطياف ذكرى :

كان قد نشر عدداً غير قليل من القصائد حين التقيت به لأول مرة ، لكنه لم يكن قد أصبح مشهوراً ،

وكان وثيق الصلة بشاعرين من أكبر شعراء القصيدة
الجديدة في مصر هما : صلاح عبدالصبور وأحمد
عبدالمعطي حجازي ، وكانت علاقته بالأخير وتأثره بشعره
أوضح وأصرح . وفي الأعوام الأولى التي تعرفت فيها على
أمل ابتداء من عام ١٩٦٦ كان أكثر التصاقاً بحجازي
وأكثر تأثراً وتقليداً لطريقته في الحياة قبل أن يصير له
أسبويه الخاص وحياته المطلقة التي زادت الظروف في
تعقيدها وزادت في الوقت ذاته من عفويتها .

وكانت.هزيمة حزيران ٦٧ بداية الانعطافة الحقيقية
نحو الشهرة ونحو الشعر ، وليس في هذا ما يمس بعقريه
الشاعر من قريب فقد كرست المآسي العظيمة الشعراء
العظام ، ومأساة فلسطين هي التي خلقت وكرست أهم
شعرائنا أمثال : محمود درويش وسميح القاسم وغيرهما ،
وفي الأيام الأولى للنكسة أو الهزيمة كان أمل دنقل يقرأ
قصيدة (زرقاء) قبل النشر وهي قصيدة جريئة أكدت
خطواته على طريق الشعر ، وكانت عنواناً لأهم دواوينه
(البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) كنت يومئذ بجواره ،

حد تحذيره عن مجرد التلفظ بها حتى لا يناله الأذى ، لكنه لم يتردد وسارع في نشرها وجعلها بعد ذلك عنواناً لديوانه الأول ، كما قرأها في أكثر من منتدى شعري وفي أكثر من ملتقى أخوي، . . وفي ما تبقى من عام ٦٧ وإلى أوائل السبعينات كانت القصيدة على كل لسان ، فليس قبلها قصيدة وليس بعدها قصيدة نالت ما نالته من الشهرة والذبول ، فقد ارتبطت بالجرح القومي الأكبر ، وكانت تعبيراً عميقاً وصادقاً عن موقف عنتره (الشعب العربي) الذي تركه الحكام في صحراء الإهمال يسوق النوق إلى المرعى ويحتلب الأغنام ويمجّر أحلام الخصبان حتى إذا ما اشتدت الحرب وأعلنت المعركة ذهبوا إليه يستصرخون فيه روح الحمية ويدعونه إلى الدفاع عن قصورهم المضاءة بالمسرات وألوان الترف .

كانت القصيدة شجاعة وجارحة ، وقد وضعت الأدب الحزيراني من أول يوم في موضعه الصحيح قبل أن

يحاول بعض الشعراء والكتاب أن يجعلوا منه شيئاً آخر ،
فقد حاول أمل دنقل ونجح في أن يجعل منه أدب مقاومة ،
مقاومة للأخطاء النابعة من الداخل ، ومقاومة للعدوان
القادم من الخارج ، أدب مجالدة وتحد لا أدب استسلام
ولطم خدود ويكاء عاجز على اللبن المراق في صيف
التعاسة والانكسار !! وكان لا بد لعنترة (الشعب العربي)
أن يثبت بالدليل القاطع غيابه التام عن المعركة التي دارت
بين السلطة التي لا يشك في وطنيتها وفي غرورها وبين
العدو الذي لا يشك في خطره وغطرسته وتنامي أطماعه :

أيتها النبية المقدسة ..

لا تسكتي .. فقد سكت سنة فسنة ..

لكي أنال فضلة الأمان

قيل لي « أحرص .. »

فخرمت .. وعميت .. واتممت بالخصيان

ظللت في عبيد (عبس) أحرص القطمان

اجتز صوفها ..

أرد نوقها ..
أنام في حظائر النسيان
طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض التمرات اليابسة
وها أنا في ساعة الطعان ..
ساعة أن تخاذل الكماة .. والرماة .. والفرسان .
دعيت للميدان
أنا الذي ما ذقت لحم الضان ..
أنا الذي لا حول لي أو شان ..
أنا الذي اقصيت عن مجالس الفتيان ،
أدعى إلى الموت .. ولم أدع إلى المجالسة ..
تكلمي أيتها النبية المقدسة ..
تكلمي .. تكلمي ..
فها أنا على التراب سائل دمي
وهو ظمي .. يطلب المزيد ..
أسائل الصمت الذي يخنقني .
« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٩ »

أجنلاً يحملن أم حديدا . . ١٩

(ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص ٢٨ دار
العودة) .

ولم يقف الشاعر عند حدود هذه الشكوى ولا عند
حدود هذه التساؤلات الفاضحة لما حدث في صبيحة
الخامس من يونيو ، وهو لا يكتفي باستدعاء زرقاء اليمامة
ولكنه في قصيدة أخرى كتبها في الذكرى الأولى لمناخ الهزيمة
يستدعي المتنبي ويجري بينه وبين كافور حواراً ساخراً حول
مصير - خولة - الفتاة العربية التي اختطفها الرومان من
- أريحا - بعد أن ذبحوا شقيقها :

دسا. أني كافور عن حزني

فقلت إنها تعيش الآن في بيزنطة

شريدة . . كالقطة

تصبح (كافوراه . . كافوراه)

فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية

تجند كي تصيح (واروماه .. واروماه ..)

.. لكي يكون العين بالعين

والسن بالسن .. ! »

ويصل الانفعال مداه ، كما تصل الشجاعة أيضاً
مداها في محاولته الجرئة فضح القيادة العسكرية المهلهلة ،
وقد استخدم عنصر التضمين الشعري كأقوى وأجود ما
يكون الاستخدام وأصبحت الأبيات المضمنة أكثر التحاماً
وتداخلاً في بناء القصيدة وفي إعطائها الدلالة الرمزية
التاريخية وليس كما فعل ويفعل بعض شعراء القصيدة
الجديدة الذين يقومون بما يشبه عملية (اللصق واللزق)
حيث يظل أسلوب التضمين سطحياً وناشراً عن السياق
الفني والنفسي ، وقد رأينا في المثال الأول كيف نجح في
دمج البيت الشهير (ما للجمال مشيها وثيدا) ولتر الآن
كيف ومتى ولماذا ، جاء بأبيات المتنبي في آخر قصيدته
الغاضبة « من مذكرات المتنبي في مصر » وهي في رأي من
معالم شعر ما بعد حزيران :

تسألني جاريتي ان اكرتي للبيت حراسا
فقد طغى اللصوص في مصر . . بلا رادع
فقلت : هذا سيفي القاطع
ضعيه خلف الباب . . متراسا
(ما حاجتي للسيف مشهورا
ما دمت قد جاورت كافورا ؟)
« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟
بما مضى ؟ أم لأرضي فيك تهويد ؟
(نامت نواطير مصر) عن عساكرها
وحاربت بدلا منها الأناشيد
ناديت يا نيل هل تجري المياه دما
لكي تفيض ، ويصحو الأهل إن نودوا ؟
« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

لقد حقق أمل دنقل بقصائده الجريئة عن النكسة
وأثارها شهرة واسعة ، وتحقق له من النجاح في عام واحد

ما لم يتحقق له في سبع سنوات هي عمر كل محاولاته
تشعرية السابقة . كان الطريق إلى الشعر قبل ذلك طويلاً
وشاقاً أما الآن فقد صار أقصر مما كان يظن وإن كان ما
يزال أشق مما كان يتوقع وذلك بسبب الاصرار على الجنوح
إلى كتابة الشعر اللاذع ، وبسبب اختياره الطريق النحيل
والصعب ، طريق اشعال الحرائق في وجدان الجماهير
النائمة المهزومة ، تلك الجماهير التي كانوا وما يزالون
يتحدثون عنها في القصائد وفي الخطابات وفي الصحف كما
يتحدثون عن فتران التجارب وأرانب المعامل ولكن دون
إحساس حقيقي بما تعاني ولعل أهم ميزة يتميز بها شاعر
كبير كامل دنقل أنه لم يكن يخاف من شيء أو يخاف على
شيء وقد ساعدته عفويته المنطلقة وطبيعته غير المنضبطة
على الاحتفاظ بنقائه وتمرده . .

أطياف حديث :

بعد ثلاثة أعوام تقريباً من وقوع الهزيمة التي مزقت

حياة العرب المعاصرين وشوهدت معالم الأيام العربية ،
رحل المناضل جمال عبدالناصر ، وكانت وفاته أو بالأصح
كان غيابه عن الساحة العربية في مثل تلك الظروف
الفاجعة هزيمة أخرى ، وبعد رحيل عبدالناصر بأربعين
يوماً التقى الشعراء العرب من مختلف الأقطار العربية
لتأبين الزعيم الراحل وفي الاستراحة الجانبية للقاعة
الكبرى للاتحاد الاشتراكي ، كان عدد من الشعراء والنقاد
يقطعون الوقت في انتظار لحظة افتتاح الاحتفال التأبيني ،
وكنت قد أخذت لي مكاناً بينهم ، وكان أمل دنقل قد
اختار مكاناً قصيباً في الاستراحة جيداً وبعيداً عن
الآخرين ، كان يبدو متوتراً ، يكثر من التدخين وكأنه
يلتهم السجائر التهاماً وبين حين وآخر ينظر إلى السقف
كأنما يحاول اختراقه بنظراته الحادة . قال أحد الحاضرين
لعله يعاني من حالة شعرية وربما كان متوحداً لأن قصيدة
الرثاء لم تكتمل بعد ، وقال آخر ربما أن أحد الحاضرين قد
حاول الاساءة إليه فابتعد مؤقتاً ليبدد شحنة الغضب ثم
يعود إلينا ليملا المكان بملاحظاته وضحكاته (وقفشاته)

المختلفة ، وانطلق صوت شاعر شاب يقول : إن أمل يعاني من حالة حزن حقيقي لغياب عبدالناصر ، فقد كان الرجل بالرغم من كل شيء الحارس الأمين للكلمة والشعرية منها خاصة . واستقر الحديث بعد أن جال وتنقل في ميادين شتى حول عبدالناصر وكيف كان يتعامل مع الأدباء بطريقة تختلف تماماً عن تعامله مع السياسيين وينحسب ذلك التعامل على الأدباء الملتزمين أو المتيسين . وقد نال الشعراء بخاصة طوال عهده حظوة كبيرة وشملهم برعاية خاصة ، فهو لا يسمح للأجهزة بمصادرة أعمالهم الأدبية أو بمنعهم عن النشر والسفر ، ولم يكن يسمح للصحافة في مصر أن تتناول بالاساءة أيًا من شعراء العرب الذين يختلفون مع النظام الناصري . حدث ذلك مع سليمان العيسى ، ومع الجواهري ، ومع البياتي ، ومع الفيتوري ، ونزار قباني ، وقد اشتهر لكل هؤلاء قصيدة أو أكثر في مهاجمة شخص عبدالناصر بالذات وقد ظلت القاهرة مفتوحة لهم بعد موافقهم ، كما

كانت قبل ذلك ، وقد ظهر في وقت متأخر من حياة عبدالناصر بعض المتشاعرين الذين حاولوا من منطلق المنافسة غير المتكافئة الاساءة والتشويه المتعمد لأدوار ومواقف بعض الشعراء خارج مصر مما اضطر عبدالناصر نفسه إلى أن يتدخل ويضع حداً لهذه الظاهرة المعادية للشعر والشعراء .

كان عبدالناصر - إذن - بحسه الثوري يدرك أن الشاعر الحقيقي في مصر أو في بقية الأقطار العربية يشكل طاقة حدى واكتشاف خلاقه فالشاعر ليس كزرقاء اليمامة ترى الأشياء عن بعد ولكنه يرى الأشياء والأحداث بعين بصيرته الشعرية ويتنبأ بها قبل وقوعها وقد نشر الشعراء في مصر قصائد تنبأت بالنكسة ونهت إلى ما حدث قبل أن يحدث ، ونشرت الأهرام في ما تذكر قصيدة للشاعر محمد إبراهيم أبو سنة قبل النكسة بأسابيع وكان عنوان القصيدة (نحن غزاة مديتنا) وكأنما كانت تقرأ ما سوف يحدث في صحائف مكتوبة من قبل .

يكون . . لا يدرون
أن كل واحد من الماشين
به . . صلاح الدين .

كان الليل داكناً مكتئباً حين رجعنا من حفل
تئين ، وكانت الأضواء الصفراء في الميادين والطرق قد
زادت اصفراراً وشحوباً . وكان زميلنا الذي يقود سيارته
وندسوع تملا عينيه يردد القسم الذي أطلقه أمل دنقل ،
وكان مثله يحلم بعودة سيناء ويسقوط النجمة السداسية من
فوق حائط المبكى إلى التراب . . .

« امل دنقل وانشودة البساطة في الشعر »

كان وصف (الشاعر الصعلوك) يتردد كثيراً في الأوساط الأدبية المصرية كلما ذكر امل دنقل وكثيراً ما قيل هذا الوصف بحضوره فيضحك ويعتبر هذا الوصف أو اللقب إذا جاز أنه كذلك ، يعتبره تحية كريمة لشاعر معاصر ينأى بنفسه عن الاقتداء بالشعراء المدجنين شعراء الحواضر والصالونات المعطرة والبدلات الأنيقة والسيارات الفارهة . كان واحداً من موكب جليل للشعراء الصعاليك المعاصرين الذين يرغبون عن عالم المغريات المختلفون أن يظلوا خفاقة نظافاً لا تأسرهم زينة الحياة الدنيا ولا تشدهم إلا بمقدار ما تمكنهم معطيائها الصغيرة من الكتابة والابداع .

ومن حسن حظ الشعر العربي في مصر وفي بقية
الأقطار العربية أن الشعراء الحقيقيين لم يرتفع بهم شعرهم
لئلا يصح لم ينخفض بهم إلى مستوى البذخ المادي والترف
الحياقي ، وقد أثبت الشعر على مر العصور بما في ذلك
العصر الحديث أنه كفيل بأن لا يلحق أسراراً العميقة ولا
يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الزاهدة والقلوب البريئة
من التطلعات المريضة ، وقد ظلت تلك هي أبرز سمات
الشعراء الحقيقيين جيلاً بعد جيل فلم تطوح بهم الرغبات
الخاصة وتدفع بهم بعيداً إلى سراديب مضاءة تصرفهم عن
الشعر وتصرفهم عن الناس ، وإن كان قد حدث غير ذلك
فهو استثناء عن القاعدة والاستثناء كما يقول المناطقة لا
يعول عليه ولا يؤخذ به .

وقد كانت الصورة الشائعة عن أمل دنقل هي صورة
الشاعر الصعلوك ، لكنه كان صورة فريدة في صعلكته وفي
محافظة على تقاليد الصعلكة الشعرية بثوبها المعاصر ، وقد
سمعت من يحاول أن يقارن بينه وبين الشاعر المرحوم

عبد الحميد الديب الذي هزت أخبار بؤسه الثلاثينات والأربعينات وحفلت المقاهي والمتدييات في تلك الفترة بأحاديث بؤسه وبمطارحاته واهاجيه المتنوعة ، إلا أن الفارق بين الشاعرين كبير والفارق بين الصعلكتين أكبر ، صحيح أن البؤس الذي عانى منه الشاعران كلاهما متشابه ويكاد يكون واحداً إلا أن بؤس الأول ذاتي وناتج عن نهم شديد إلى الحياة في حين أن بؤس الآخر عام وناتج عن زهد في الحياة ، ولو أن الشاعر الأول وجد الأبواب الواسعة إلى النعيم كما وجدها الثاني لما تردد عن دخولها غير هيب ولا متحرج وهذا الفارق الأخير يكفي لمعرفة ما بين الشاعرين من تباين واختلاف وفضلاً عن هذا وذاك فإن أمل دنقل شاعر يمثل مرحلة اجتماعية مختلفة كل الاختلاف عن المرحلة التي ظهر فيها عبد الحميد الديب والهموم التي حاول التعبير عنها تختلف كذلك عن هموم المراحل السابقة كلها .

لقد انفق أمل دنقل ساعات كثيرة من حياته في

نقهي - كما فعل عبد الحميد الديب تماماً لكن أحاديث
نقهي اختلفت والقصد من ارتياد المقهى اختلف أيضاً ،
نقضية التي تؤرق امل دنقل ما كانت لتخطر على ذهن
عبد الحميد الديب ، وإذا كانت قد خطرت على ذهنه فبقدر
كبير من الغموض ، وإذا كنت قد أشرت في ما سبق من
حديث الذكريات فإن شريطاً طويلاً حافلاً بالذكريات التي
تسواكب من قاع الأيام الراحلة ، ولعل أكثرها بروزاً
ووضوحاً صورة امل دنقل في بيته أو بالأصح في إحدى
الشقق الكثيرة التي استأجرها الواحدة بعد الأخرى لتكون
مقراً للنوم . كانت واحدة منها شقة أرضية من غرفتين في
ميدان العجوزة استأجرها لفترة وعاش فيها مع زميله
الصديق الشاعر حسن توفيق ، وقد زرتهما في هذه الشقة
عشرات المرات رافقني في معظم تلك الزيارات الصديق
الشاعر محمد الشرفي أثناء عمله في سفارتنا بالقاهرة ، وقد
اعتدنا أن نذهب إلى الشقة قبيل الغروب ، وفي كل مرة
كنا نرى امل دنقل اما نائماً أو مشغولاً باعداد طعام الغداء

مع زميله ، وكنا نقضي فترة انتظارهما للطعام في حديث
عن الشعر والأدب وفي قراءة بعض القصائد وكان الغداء
متواضعاً في كل يوم ولا يزيد عن البطاطس وأرغفة الخبز
وبعض الأوراق الخضراء . وكثيراً ما امضينا الساعات
الطويلة بعد أن يتناول الشاعران البائسان غداءهما أو
عشاءهما في أحاديث أدبية ، وفي معظم الأحيان كنا نتوجه
إلى دار الأدباء أو إلى منزل الصديق محمد الشرفي لقضاء
سهرة أدبية لا تقتصر على أمل وزميلة ، إذ غالباً ما ينضم
إليها صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي وغيرهما
من الأدباء والشعراء الكبار الذين يضيئون الليالي
بأحاديث الفكر والأدب وبروائع الشعر ، ولعل الفترة التي
قضّاها أمل دنقل في شقة ميدان العجوزة أسوأ فترات
حياته وأحفلها بالمتاعب وانتفاء الاستقرار وقد وصل الحال
به وبزميله الشاعر حسن توفيق إلى أن يتبادلا ارتداء قميص
واحد في الحفلات والسهرات ولعدة أشهر ، فإذا خرج
أحدهما انتظر الآخر في المنزل حتى يعود زميله ، والغريب

نه بالرغم من ذلك الحال وربما بسببه فقد كانت تلك
سنوات هي أخطر وأهم سنوات الانتاج الشعري وأهم
سنوات المواجهة الحادة بالكلمة ، وفي هذه الفترة كتب أمل
هم قصائده وأجملها واكتسب شهرة فائقة قفزت به من بين
شعراء الشباب إلى مستوى صلاح عبدالصبور وأحمد
عبدالمعطي حجازي إن لم تكن قد تجاوزت به هذين
شاعرين الكبيرين . وكانت قصيدته (أغنية الكعكة
الحجرية) حدثاً في تاريخ الشعر السياسي في مصر وفي
الشعر العربي بأجمعه ، وقد كتبها وسط مظاهرات الطلاب
ومصادماتهم الشهيرة مع شرطة النظام في عام ١٩٧٢ م
ومنها هذا المقطع الذي يخاطب الشاعر فيه مصر التي
لرعت يومئذ من خلال مظاهرات الطلاب وتلمل
الشعب :

اذكري ١١

فقد لوثني العناوين

في الصحف الحائنة

لوثني لأنني منذ الهزيمة لا لون لي

غير لون الضياع
قبلها كنت اقرأ في صفحة الرمل
والرمل أصبح كالعملة الصعبة
الرمل أصبح أبسطه تحت اقدام جيش الدفاع !
فاذكريني ، كما تذكرين المهرب والمطرب العاطفي . .
وكاب العقيد . . . وزينة رأس السنة
اذكريني إذا نسيتي شهود العيان
ومضبطة البرلمان
وقائمة التهم المعلنة
الوداع !
الوداع !

(من ديوان العهد الآتي) .

انشودة البساطة :

كان أمل دنقل شاعر البساطة في زمن التعقيد
والغموض ، وأول ما يلفت الانتباه في قصائده البساطة
الحادة المصقولة التي تتحول إلى انشودة مفرطة التواضع
« وأنشودة البساطة » تعبير حديث اطلقه بين شباب الكتاب

و شعراء الكاتب الفنان يحى حتى ، والبساطة عند ذلك
شيخ الوقور - كما فهمها جيل أمل دنقل - لا تعني التمرد
على القواعد اللغوية والخروج على الأسس الفنية للكتابة ،
ولا تعني الرقة والتبسيط ، إنما تعني تلقائية تناول أو عفوية
تعبير ، والابتعاد عن خشونة اللفظ إلى خشونة المعنى ،
وتحويل العمل الأدبي من شعر لا يفهم محتواه سوى نفر
قيل من الكتاب . . إلى أنشودة جماعية وإلى لغة فن
ووجدان . ومن السهل جداً أن يتبع المتلقي فضلاً عن
ندارس تجربة أمل دنقل الشعرية وأن يتبين ملامح القراءة
في هذه التجربة التي تختلف عن تجربة الآخرين من زملائه
ومن الشعراء الذين سبقوه وقد ظلت تجربته متميزة منذ
البداية الصحيحة إلى أن توقفت مع الوفاة . وكانت
بساطته في تناول تجعله يرى أن الفرار من المباشرة لا يعني
الفرار من المحيط المباشر للواقع ، ولا تعني الفرار من
مواجهة العذاب الانساني والخراب والدمار والتشويه ،
وهذا الموقف جعله لا يقيم كبير وزن لما يسمى بالألفاظ

الشعرية ، أو بالمعاني المعقدة ، وهو في نثره القليل الذي تضمنته مقابلاته المنشورة في الصحف والمجلات لا يكف عن الهجوم السافر الحاد على كثير من شعراء القصيدة « المتجاوزة » وهو يرى أن معظم التجاوز يقف عند دائرة اللغة وحدها وعند الشكل وحده وهو يعتقد أن ذلك الصنع لا يزيد عن كونه نوعاً من الهروب عن مواجهة الواقع « ولأن فقدان الثقة عند الشاعر في تغيير هذا الواقع قد أدى به إلى أنواع من استجلاب وسائل فنية في ظل حضارة مختلفة ومحاولة فرضها على المجتمع الثقافي - العربي ، ومن هنا تحول الشعر الحديث إلى شعر مثقفين ، في حين أن وظيفته الأساسية هي في ارتباطه بالناس . وقد كان انتصار الشعر الجديد منذ البداية راجعاً إلى ارتباطه بالناس ، وتجاوبهم بالتالي معه ، وتخليهم عن الشكل القديم . . وما يؤدي إليه هذا التجاوز الحديث عن المطلقات . . ومن هنا فإن هذا التجاوز للواقع يحتاج إلى تجاوز للطرائق الفنية التي يتم بها التعبير عن هذا الواقع ، واستحداث طرائق بديلة واستجلاب لمذاهب فنية ، أو

لجوء إلى الايهام بمحاولة تغيير الواقع أو الايهام بالثورة عن طريق ثورة شكلية فقط . . . الشعر لا يلقي اسراره العميقة ولا يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الواجدة وفي القلوب البريئة من التطلعات المريضة ، أي تكون الثورة على مستوى الشكل فقط .

(ندوة مجلة فصول عن قضايا الشعر المعاصر المجلد الأول العدد الرابع يوليو ١٩٨١ م) .

ومهما يكن نصيب وجهة النظر هذه من الخطأ أو الصواب فإن وراءها موقف شاعر كبير يدرك أنه خارج من احزان أمة كبيرة أسيرة اخطبوط خطير هائل من المعاناة والمشاكل ولا بد من أن نحس بالخطر الذي يتهلدها ، ومهمة الشاعر بالذات أن يوصل هذا الاحساس إلى وعي الأمة وأن لا تتحول قصائده إلى مفردات قاموسية مجردة عن أي معنى أو إلى معان مطلقة تسعى إلى تخدير الوعي وامانة الحواس بدلاً من ايقاظها ، وفي مرحلة الهوان والانحطاط كالمرحلة التي نعيشها الآن لا بد أن يتخلى الشاعر عن

الوقوف في دائرة الأحلام الذاتية وقبل أن يحاول التحرر من القوالب الميتة أو التي يراها كذلك عليه أن يتجنب الوقوع في ما هو أخطر من هذه القوالب كالشكلية وتزييف الواقع ، تلك هي بساطة أمل دنقل التي جعلت من شعره صوتاً عميقاً وبسيطاً ، ومن المهم قبل ذلك وبعد ذلك أن نعلم أنه هو نفسه قد كان انشودة من البساطة والتواضع .

تمجيد التمرد في زمن الخنوع :

قضية الاساءة إلى الشعراء وتكفيرهم ومحاولة الانتقام من كبارهم تحت مختلف الادعاءات ، قضية شغلت الجانب الأكبر من تاريخ الشعر العربي ، ولم يسلم في الماضي من تهمة الزندقة والاحاد سوى صغار الشعراء ومن لا وزن لهم في الحياة والشعر على السواء . وقد شغلت هذه القضية عدداً من الباحثين ، وقد تلقيت منذ وقت قصير رسالة من باحث صديق تشغله القضية وبعد عنها رسالة دكتوراه ، يعكف عليها منذ خمسة أعوام . وقد لخص الهدف الذي يسعى إليه من دراسته بمحاولة التعرف

عن الأسباب الكامنة وراء محنة الشعراء ولماذا الشعراء
مُذنبون ، وقد رأى من خلال البحث الموضوعي القائل
عن النزاهة والصراحة - وهو يكتب الشعر - رأى أن كثير
من التهم التي توجهت نحو الشعراء قد كانت موجهة في
سوق ذاتها نحو الفلاسفة ورجال الدين وأصحاب
مذاهب والمتكلمين ولكنها كانت مع الشعراء - عجب
للعصور - أكثر حدة فلم تذبج التهم الكبيرة فيلسوفاً و
فقدت إلى قتل رجل دين لكنها قتلت كبار الشعراء ، لماذا
هذا هو السؤال الذي يبحث صديقي في رسالته للدكتور
عن الإجابة عليه وهو يتلمسه عند عدد من الشعراء
الأحياء وعند بعض الأدباء الذين تؤرقهم المحنة التي
نسجت إلى عصرنا من سلبات العصور القديمة .

تذكرت محنة الشعراء هذه الأيام وأنا أعيش ذكريات
محنة صديقي الشاعر أمل دنقل فقد عانى بالإضافة إلى محنة
التفقر والتشرد وإلى محنة القمع والارهاب محنة التكفير
مع محنة التكفير ، وكانت قصيدته « كلمات سبارتاكوس »

الأخيرة ، واحدة من القصائد التي وضعها « زعماء محاكم التفتيش » على مشرحة التكفير ، والقصيدة تدعو إلى التمرد ضد الطفيان وتمجد دور العبد سبارتاكوس الذي امتشق السيف في وجه العبودية وفي وجه روما العابثة بانسانية الانسان ومطلع القصيدة وهو الأكثر إثارة يقول :

المجد للشيطان .. معبود الرياح
من قال (لا) في وجه من قالوا (نعم)
من علم الانسان تمزيق العدم
من قال (لا) .. فلم يمِت ،
وظل روحاً أبدية الألم !

المجد هنا ، ليس للشيطان (ابليس) ولكن
للشيطان (سبارتاكوس) ذلك العبد الشجاع الذي
اشتاق نفسه للحرية فقال (لا) في وجه (القيصر)
وكانت النتيجة أن اسمه ظل على كل لسان وظلت روحه
الأبدية الألم تزرع الشجاعة في نفوس العبيد وتدفع بهم إلى
الصفوف الأولى من المواجهة ، وقد فهم صغار العقول في

محكم التفتيش المعاصرة أن الشاعر يمجّد إبليس وأنه بذلك قد كفر ، وأن دمه قد صار حلالاً . وقد حاول صغار لعقول هؤلاء أن يصلوا بصرخاتهم الحاقدة إلى (أهل ليل والعقد) إلا أن الصرخات ضاعت في أرض مصر لوسعة الأرجاء ، وظلت تتردد همساً في دهايز الكراهية نحو أن رحل الشاعر عن عالم الحقد والطفقان وأخذ الله إلى جواره الرحيم الكريم .

لقد كتب الشاعر قصيدته في الاسكندرية وفي شارع الاسكندر الأكبر وهو يتذكر الجموع الفقيرة الغفيرة وهي تسير في الشوارع محنية الظهور مثقلة الأعناق كقطيع الأغنام ؛ لا صوت يرتفع بكلمة (لا) الكلمة السائلة ولشائعة هي (نعم) مصحوبة بالنسبة المعروفة (١٩,٩٩ تذكر الشاعر كل ذلك فكتب قصيدته التي حاول فيها أن يعلم الجماهير العربية المضطهدة أن تقول (لا) حتى وإن كانت العاقبة لا تختلف كثيراً عن عاقبة ذلك الثائر المعلق في مشنقة على مدخل المدينة الظلمة :

معلق أنا على مشائق الصباح
وجبهتي - بالموت - مخنية
لأنني لم أحنها .. حية
.....

يا اخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرقي
منحدرين في نهاية المساء
في شارع الاسكندر الأكبر :
لا تنجلوا .. ولترفعوا عيونكم إلي
لأنكم معلقون جانبي .. على مشائق القيصر ..
فلترفعوا عيونكم إلي
لربما .. إذا التقت عيونكم بالموت في عيني
ينسم الفناء داخلي ..
لأنكم رفعتم رأسكم مرة .

وبعد أن ظهرت آلام المرض العنيف روح الشاعر
الكبير وجسده الهزيل ، وعندما رحل إلى جوار ربه الغفور
الرحيم لا أشك في أنه قد غفر لخصومه من أنصار محاكم

فتيش ودعاة التكفير ولكن هل اعتذر له هؤلاء هل
ولوا أن يستغفروا لذنبهم الكبير ، ذنب اتهام المبدعين
بقتل المواهب ؟ كان الشاعر متهاً منذ كان متنبى
بيلة وصوت احزانها ، ورجال الدين يتهمونه بالتجديف
الحاد . . ورجال السلطة يتهمونه بالخروج على النظام
طيم الاستقرار الموهوم ومن سوء حظ الشاعر الحقيقي
العصر الحديث أن التهم القديمة لم تتغير ولم تتطور
برات العصر وتطوراته . . في مواجهة جدار اليأس
حباط

آه . . ما أقسى الجدار
عندما ينهض في وجه الشروق
ربما نثقق كل العمر . . كي نثقب ثغره
ليمر النور للأجيال مره !

.....

ربما لو لم يكن هذا الجدار . .
ما عرفنا قيمة الضوء الطليق . . !

وضع امل دنقل هذا المقطع الصغير افتتاحية
لديوانه الأول (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة)
ولاختيار هذا المقطع وللحرص على أن يتصدر فاتحة
الديوان (البداية) لذلك كله مغزى خطير يلخص
بمראה خيبة الأمل والشعور بالعجز ازاء مختلف اشكال
الاحباط في الواقع العربي المعاصر .

وصورة هذا الجدار الذي ينهض في وجه
الشروق الخاص وفي وجه الشروق العام ليسد النور
ويميع كل ومضة امل . . صورة هذا الجدار تعكس
منذ البداية الشعور البائس المحبط ، ولكنها في الوقت
ذاته تكشف عن استعداد شجاع وجريء لمواجهة هذا
الجدار ومحاولة التغلب عليه ، وكأنني بالشاعر في بداية
حياته يشعر بوعورة الطريق واتساع المسافة لكن
تفاؤل الشباب جعله وهو يقترب من الجدار يشعر
بالزهو لأن الجدار يعطي لحياته قيمة ويعطيها معنى ،
فأي معنى لحياة لا معاناة فيها ولا مكابدة ، حتى

(سيزيف) ذلك البطل الأسطوري المحكوم عليه بحمل الصخرة إلى القمة لكي تعود إلى القاع ثم يعود هو إلى حملها من جديد إلى القمة في رحلة عذاب لا تنتهي بين القاع والقمة (سيزيف) هذا أي معنى لحياته التافهة المكرورة إن خلت من هذا العذاب المضي الرتيب . وأي عذاب للانسان بدون هذا الجدار الذي يحاول بجهده الانساني أن يفتح عليه ثغرة للنور ، نور المعرفة والتغيير إلى الأفضل والأجمل والأنقى . . وإذا كان الشاعر الكبير امل دنقل قد ظل يحفر في الجدار ورحل قبل أن يتدفق شلاله للنور المنتظر فإن كلماته ستظل تواصل الحفر والطرق على وجه الجدار الواقف في وجه الشروق إلى أن ينهدم الجدار ويتدفق انهاراً من الاشواء ، فمن غير المعقول أن تظل الأرض العربية تنزف دماً . وان يظل ابنائوها هكذا حيارى يفترسهم الارهاب وتتقاذفهم الهموم إلى نهاية العالم .

أخيراً أي شعور حزين يعت
بالكلمات شاعراً عظيماً عاش
وللوطن . وأي احساس فاجع ؛
نكتب بالكلمات كل يوم سوى رثا
ابناء هذا الوطن و لأروع ما
ونقاء

الدكتور عبا

مقتل القمر

الاهداء

إلى الاسكندرية
سنوات العبا ا

أحسُّ حِبالَ عينيك
بشيءٍ داخلي يبكي
أحسُّ خطيئةَ الماضي تعرَّت بين كفك
وعنقوداً من التفاح في عينين خضراوين
أنسى رحلة الآثام في عينين فردوسين ؟
وحتى أين ؟
تعذّبنى خطيئاتي .. بعيداً عن مواعيدك
ونحرقني اشتهاؤاتي قريباً من عناقيدك !
وفي صدري
صبي أحمر الأظفار والماضي
يخطط في تراب الروح ،
في أنقاض أنقاضى !
وأنظر نحو عينيك

فترعشنى طهارة حب
وتفرقنى اختلاجة هذب
والمح — من خلال الموج — وجه الرب
يؤنبنى
على نيران أنفاسى، يقلبنى
وأطرق ...
والصراع المر فى جوفى يعذبنى !!
... ..

أحرق فى خطوط الصيف فى شفتيك :
يموى داخلى الحرمان
(لهيب آدمى الشوق ، مصباحان يرتعشان)
وأهرب نحو عينيك :
يطالعنى الندى والله والغفران !
وأسقط بين نهديك
لتحترق الروءى
وأغرق فيهما بالنار والشك
ضموى رغبتي شيا
وأغمض عنك عيني

وأسند رأسى الملفوح فى صدرك
قد ترمذ الأفكار فى جمرك
وأحرق جنة المأوى

... ..

فيا ذات العيون الخضر
دعى عينيك مغمضتين فوق السرّ
.. لأصبح حرّ !!

طفلتها

(.. مرث محرس سنوات على الوداع وفجأة .. رأى طفلتها !)

لاتفرّى من يدى محتبته
.. خبت النار بجوف المدفأة !
أنا ..

(لوتدرين)
من كنت له طفله
لولا زمان فجأه
كان فى كفى ما ضيعته
فى وعود الكلمات المرجأه
كان فى جنبي
لم أدر به !
.. أو يدري البحر قدر اللؤلؤة ؟

به عمرك عمر ضائع من شباني
 في السروب المخطئة
 كـ فزت بعام
 حريت مهجتي عاماً
 وأبقت صدأه
 ثم ه تحمل من الماضي
 سوى ذكريات في الأسى مهترئة
 عري بالدجي
 بر تدجي للذي ضل منه ..
 لك !!

• • •

نحيون الواسعات الهادئة
 وشفاه الحلوة الممتلئة :
 حنة طفليّه
 ذكرها

وهى عن سبعة عشر منبئة

إننى أعرفها

فاقتربى

فكلانا فى طريق أخطأه

ساقنى حمقى

وفى حلقى مرارة شوق

وأمان صدئه

قابسمى ياطفلتى

(منذ مضت ... وابتسامات الضحى منطفئة)

ثرثرى

(صوتك موسيقى حكمت صوتهما ذا الثبرات المدفئة)

— « إحلب لى أحجية »

— لم يبق فى جمعبنى

غير الحكايا السيئة

فاسمعها يا ابتى مسرعة

عبرت فيها الليالى .. مبطلنة

.....

« كان يا ما كان »

• يكن في
 • بكر يملك إلا .. مبدأه
 • حة ذات ثغر يشتى قبلة الشمس
 حوى ضمأه
 حق الحب بها ؛ فاستسلمت
 ويرى الحب به ؛ فاستمرأه
 قد صعدت مركبه
 نضحي
 في قصة مبتدئة
 وهو في شرفته مرتقب
 وهي في شباكها .. متكة
 حم منقسم
 لا يتنى حلم
 لا وحلم بدأه
 صعدا
 سلمة ..
 سلمة ..

في قصور الأمنيات المنشأة
لم تكن تملك إلا طهرها
لم يكن يملك إلا مبدأه

• • •

ذات يوم
كان أن شاهدها
من له أن يشتري نصف امرأة
حينها أو ما لها مبتسماً
فأشاحت عنه
كالمستنزئة
اشتراها في الدجي
صاغرة
زفت السبعة عشر .. للمئة
لم يكن شاعرها فارسها
لم يكن يملك إلا ..
التهنئة

لم يكن يملك إلا مبدأه
ليس إلا ..
كلمات مطفأة

• • •

أترى تدرين من كان الفتى ؟
فهو يدري الآن
يدري خطأه !
والتي يبعث وفي معصمها الوشم
فاعتاد القواد الطأطأة !
ومن النخاس ؟
هل تدرينه ؟
وهو ملاح تناسى مرفأه
اننى أكرهه
يكرهه ضوء مصباح نبيل أطفأه
غير أن الحقد ..
(يا طفلة)

وأنت يا حيي
طير على سفر

• • •

ويرحل المطر
ويذبل الشجر
ويغمر الغبار النقوش والصور

... ..

وتبهط الأحزان
فتمحي الألوان
والقلب
والخطوط العرجاء
والأسمان
وبنخر السوس القديم في العيدان
وترحل الطيور الزرق
بلا عنوان
تسأل عن هوانا
تسأل عما كان

.. ماكان يا حبيبي
حلم ؛ وقد عبر !

• • •

وينزل المطر
ويرحل المطر
وينزل المطر
ويرحل المطر
والقلب يا حبيبي
مازال ينتظر

قلبي .. والعيون الخضراء

- ١ -

صبيّاً كان
شدت على يديه القوس
أعلمه الرماية
(كى يفوق بقية الأقران)
« فلما اشتدّ ساعده .. »

.....

ثلاث سنين
أبارز قلبي المفتون
يجمع بيننا ليل ، ويفصلنا نهار قتال
تطل على — خلف لثامه — عيان خضراوان
(كأوردة تلون بطن ركة عانس عجفاء)
وقبلا .. كانتا في وجه قديسة !

• • •

ثلاث سنين
ينازلنى ، أنازله

فلت ساخن ، وغبار
 عرف على الفم المزموم ،
 ثم يرين فوق العشب والأسوار
 وكان الفخ قرب الباب
 سقطت ملوث الرمين والأثواب
 أشاحت عني العيان
 وكنت تراب
 وكان يدبر لى كفيه فى استهزاء
 .. وتعرف أنت
 ماذا يفعل المغلوب مثل
 حين يوليه العدو الظهر ؛
 ولى كفى بقايا سهم

• • •

وطفلاً كنت ، كالأطفال
 ومركبة من الكلمات تحملنى لعرش الشمس
 وقلدى الهوى سيفه :
 « إلى ذات العيون الخضراء »
 وكوكبة من الرهات مصطفة
 « إلى ذات العيون الخضراء »

وقربتنا — وراء العين — توراة من الصمت
وثرثرة من الغدران
وصوت الطبل
يدق لينزع القمر القديم نقابه المعتل
وطفل شاحب ينهض
تزغرد نسوة لختانه المدسوس في جلبابه الأبيض
وفوق الجسر
غلام لاهث يعلو
يلمسك مهرة فرت وفي سيقانها يتعلق القيد

... ..

ومركبتى تشد الأفق مخروطية الدرب
« إلى ذات العيون الخضر »
تلال السحب نمرب من ورأى كومة .. كومة
وأنسام تضم عباءتى بأنامل الرحمة
ومن ضمه
إلى ضمه
تنسنا قلاع الحب والحكمة
ولكننا على الأبواب
أطل نتوء

(كأنف قد تورم فوق وجه العازف السكير)
على العجلات مد لسانه الموبوء
تهاوت فيه مركبتى
فعد يا صاحب الكلمات
كأسياخ الحديد توهجت فى النار
تمر على عيونك أحرف الكلمات
« هوانا مات »

تهاوينا
بلغنا قمة القمة
لنهب فى انحدار الجانب الآخر
ومن عمره الى عشرة
تلقانا تراب الأرض فى راحاته البرّة
ودارت قهوة الموقى
رأيت يديك هذا اليوم
معطرتين ، ناعمتين
ولكنى رأيت على أظافرك الدم الملمع
وفى المجرى الذى ينساب فى النهرين
مددت يدك قبيل النوم

عمرت على حطام الخنجر المسموم
والقفاز !!

يا وجهها

من حوى أن نلتقى .. سهوا
.. أنت تفقدك
.. وجهها خلوا

• • •

في نسي سميت : شدوا
من قري ما أجلك ؟

صحي على شفة الصبا .. لغوا

• • •

من ن كما أهوى
حبر عني الدفء والحلوى
يحيى نيت سماتك الشجوا
من مرتعدك

• • •

.. حيا أعدك

الصيف فيك يعانق الصحوا
عيناك ترغمان في أرجوحة
والشفر مرتعش بلا مأوى
وعذابه : سلوى
إن جئت أنفض عنده الشكوى

• • •

في الليل افتقدك
فتضىء لى قسماتك النشوى
تأتى خجول البوح مزهوا
وعلى ذراع الشوق استندك
وأحس فى وجهى لظى الأندس
حين يلفنى رغدك !
وأنام !

تحملى رؤاك لنجمة قصوى
نترقب الخطوا
نحكى ، فأرشف همسك الرخوا
ويهزنى صحوى .. فافتقدك
لكن بلا جدوى
بلا جدوى !

• يسجدوا للخطا
 • يفرحون بجلد السلوى
 • يات لا تقوى
 • وتكر الخطوا
 • ذكركم
 • . . .

• يسجدوا للخطا
 • يات اقتضك
 • يات اقتضك

مقتل القمر !

.. وتناقلوا النبأ الأليم على بريد الشمس
في كل المدينة :

« قتل القمر ! »

شاهدوه مصلوباً تدلى رأسه فوق الشجر !
نهب اللصوص قلادة الماس الثمينة
من صدره !

تركوه في الأعواد ،

كالأسطورة السوداء في عيني ضريد
ويقول جاري :

— « كان قديساً ، لماذا يقتلونه ؟ »

وتقول جارتنا الصبية :

— « كان يعجبه غنائى في المساء

وكان يهدينى قوارير العطور

فبأى ذنب يقتلونه ؟

هل شاهدوه عند نافذتى — قبيل الفجر — يصفى للغناء ..

.....

— تحت من كل العيون
— تحف القبر

— — —

— **2000**

.. نیت الحاسر .. مات !

• _____

فمن لا يهتدى الى غلوت به
 فليجمع لي
 كحفت !

• • •

حمت جنبه على عينه ..

حیرت‌زوی من فاروقه !

حرجت من باب المدينة

• 

١٠. نبأ قریتا أبوکم مات

قطعة أبناء المدينة

حرفوا عليه دموع إخوة يوسف

وَقُرُونًا

تركوه فوق شوارع الأسفلت والدم والضعيفة
يا اخوتي : هذا أبوكم مات !
— ماذا ؟ لا .. أبونا لا يموت
بالأمس طول الليل كان هنا
يقص لنا حكايته الحزينة !
— يا اخوتي بيدى هاتين احتضنته
أسبلت جفنيه على عينيه حتى تدفنوه !
قالوا : كفالك ، اصمت
فانك لست تدري ما تقول
قلت : الحقيقة ما أقول
قالوا : انتظر
لم تبق إلا بضع ساعات ..
ويأتى !

. . .

حط المساء
وأطل من فوق القمر
متألق البسمات ، ماسى النظر
— يا اخوتي هذا أبوكم ما يزال هنا
فمن هو ذلك الملقى على أرض المدينة ؟

قالوا : غريب

ظنه الناس القمر

قتلوه ، ثم بكوا عليه

ورددوا « قتل القمر »

لكن أبونا لا يموت

أبدأ أبونا لا يموت !

شيء يحترق

شيء في قلبي يحترق
إذ يمضي الوقت .. فنفترق
ونمد الأهدى
بجمعها حب
وتفرقها .. طرق

• • •

.. ولأنت جوارى ضاحجة
وأنا بجوارك ، مرتفق
وحديثك يغزله مرح
والوجه .. حديث متنسق
ترخين جفونا
أغرقها سحر
فطفا فيها الفرق
وشبابك حان جلي
أرز ، وغدير ينبثق

وبيد ذهبي وحدي
مصطبح منه ومغبق
وتفوص بقلبي نشوته
تدفعني فيك .. فتلتصق
وأمد يدين معربدين
فتوبك في كفي ..
مزق

وذراعك يلتف
ونهر من أقصى الغابة يندفق
وأضملك
شفة في شفة
فيغيب الكون ، وينطبق

.....

ونموت النار
فترقبها
بجفون حار بها الأرق
خجلى !
وشفاهاك ذائبة
وثمارك نشوى تندلق

ونعود نثرثر
كبحيرات هادئة
غطاها الورق
و يمر الوقت فلا ندرى
ويقيم محافله الشفق
وتدق الساعة معلنة
فيهب بنا صحو قلق
ويحين وداع
وقتي
وأراه كحلم ينسحق
يرتد الصمت لموضعه
ويعود إلى الأذن الحلق
ونمد الأيدي
راغمة
نتشاكى العنب
وتنزلق !
وأحس بشيء في صدرى
شيء .. كالفرحة
يحترق !

قالت

قالت : تعال إليّ
واصعد ذلك الدرج الصغير
قلت : القيود تشدني
والخطو مضني لا يسير
مهما بلغت فلست أبلغ ما بلغت
وقد أخور
درج صغير
غير أن طريقه .. بلا مصير
فدعى مكالي للأسى
وامضى الى غدك الأمير
فالعمر أقصر من طموحي
والأسى قتل الغدا

• • •

قالت : سأنزل
قلت : يا معبودي لا تنزلي لي

قالت : سأُنزل
قلت : خطوك منته في المستحيل
ما نحن ملتقيان
رغم توحد الأمل النبيل
... ..

نزلت تدق على السكون
رنين ناقوس ثقیل
وعيوننا متشابكات في أسمى الماضي الطويل
تخطو إلى
وخطوها ما ضلّ يوماً عن سبيل
وبكى العناق
ولم أجد إلا الصدى
إلا الصدى

ماريا ؛ يا ساقية المشرب
الليلة عيد
لكنا نخفى جمرات التهنيد !
صبي النشوة نخبأ .. نخبأ
صبي حبا
قد جئنا الليلة من أجلك
لريح العمر المتشرد خلف شعاع الغيب المهلك
في ظل الأهذاب الإغريقية !
ما أحلى استرخاءة حزن في ظلك
في ظل الهدب الأسود

.....

— ماذا يا ماريا ؟
— الناس هنا كالناس هنالك في اليونان
بسطاء العيشة ، محبوبون
— لا يا ماريا

اناس هنا — في المدن الكبرى — ساعات

! تتخلف

! تتوقف

! تتصرف

آلات ، آلات ، آلات

كُفى يا ماريًا

نحن نريد حديثاً نرشف منه النسيان !

.....

ماذا يا سيدة البهجة ؟

العام القادم في بينى زوجة ؟!

قد ضاعت يا ماريًا من كنت أود

ماتت في حضن آخر

لكن ما فائدة الذكرى

ما جدوى الحزن المقعد

نحن جميعاً نحجب ضوء الشمس ونهرب

كُفى يا ماريًا

نحن نريد حديثاً نرشف منه النسيان

.....

قولى يا ماريًا

أوما كنت زماناً طفلة
يلقى الشعر على جبهتها ظله
من أول رجل دخل الجبه واستلقى فوق الشيطان
علقت في جبهته من ليلك خصلة
فضّ الثغر بأول قبلة
أوما غنيت لأول حبّ
غنيّا يا ماريّا
أغنية من سنوات الحب العذب

.....

.....

.....

ما أحلى النغمة
لتكاد تترجم معناها كلمة .. كلمة
غنيّا ثانية .. غنى
(أوف .
لا تتجهّم

ما دمت جوارى ، فلتبسم
بين يديك وجودي كنز الحب
عيناى الليل .. ووجهى النور

شفتای نیذ معصوّر
صدری جنتک الموعودة
وذراعی و ساد الرب
فتبسم للحب ، تبسم
لا تنجهم
لا تنجهم)

.....

ما دُمت جوارک یا ماریا لن أنجهم
حتى لو كنت الآن شاباً كان
فأنا مثلك كنت صغيراً
أرفع عینی نحو الشمس كثيراً
لكنی منذ هجرت بلادی
والأشواق
تمضغنی ، وعرفتُ الأطراق
مثلك منذ هجرت بلادك
وأنا أشتاق
أن أرجع يوماً ما للشمس
أن یورق فی جدی فیضان الأمس

.....

قولى يا ماريّا
العام القادم يبصر كلّ منا أهله
كى أرجع طفلاً .. وتعودى طفلة
لكننا الليلة محرومون
صبي أشجانك نخباً .. نخباً
صبي حبا
فأنا ورفاقى
قد جئنا الليلة من أجلك !

استريجي
ليس للدور بقية
انتهت كل فصول المسرحية
فامسحي زيف. المساحيق
ولا ترتدى تلك المسوح المربمية
واكشفي البسمة عما تحتها
من حنين .. واشتهاء .. وخطيه
كنت يوماً فتته قدمتها
كنت يوماً
ظماً القلب .. وريه
° ° °

لم تكوني أبداً لي
إنما كنت للحب الذي من سنتين
قطف التفاحتين الحلوتين
ثم ألقى

ببقايا القشرتين
وبكى قلبك حزناً
فغدا دمة حمراء

بين الرئتين
وأنا ؛ قلبي مندبل هوى
جففت عيناك فيه دمعتين
ومحت فيه طلاء الشفتين
ولوته ..

في ارتعاشات اليدين
كان ماضيك جداراً فاصلاً بيننا
كان ضللاً شبحية

فاستريحى
ليس للدور بقية
أبنا نحن جلسنا
ارتسمت صورة الآخر في الركن القصي
كنت تخشين من اللمسة
أن تمحى لمسته في راحتي
وأحاديثك في الهمس معي
إنما كانت إليه ..

لا إلى
فاستريحى الآن
لم يبق سوى حمرة السمر على المفترق
كيف أفصيك عن النار
ولى صدرك الرغبة أن تحترق ؟
كيف أدنيك من النهر
ولى قلبك الخوف وذكرى الغرق ؟
أنا أحبيتك حقاً
إنما لست أدرى
أنا .. أم أنت الضحية ؟
فاستريحى ، ليس للدور بقية

العار الذى نظيه

هذا الذى يجادلون فيه
قولى لهم مَنْ أمه ، وَمَنْ أبوه
أنا وأنت ..
حين أنجيناہ ألقيناہ فوق قمم الجبال كى يموت !
لكنه ما مات .

عاد إلينا عتفوان ذكريات
لم نجترىء أن نرفع العيون نحوه
لم نجترىء أن نرفع العيون
نحو عارنا المميت

• • •

ها طفلنا أمامنا غريب
ترشقه العيون والظنون بازدرائها
ونحن لا نجيب
(وربما لو لم يكن من دمننا
كنا مددنا نحوه اليدا

لكنه .. ما زال يقطع الدروب
يقطع الدروب
وفي عيوننا الأسى المرعب

• • •

« أوديب » عاد باحثاً عن اللذين ألقياه للردى
نحن اللذان ألقياه للردى
وهذه المرة لن نضيعه
ولن نتركه يتوه
ناديه

قولى انك أمه التى ضنت عليه بالدفء
وبالبسمة والحليب

قولى له أنى أبوه
(هل يقتلنى ؟) أنا أبوه
ما عاد عاراً نتقيه
العار : أن نموت دون ضمة
من طفلنا الحبيب
من طفلنا « أوديب »

رسالة من الشمال

بعمى — من الشوك — غشوش
بعرق من الصيف لم يسكن
بتجويف حب ، به كاهن
له زمن .. صامت الأرغن :
أعيش هنا
لا هُنا ، إننى
جهلٌ بكينونتى مسكنى
غدى : عالم ضل عنى الطريق
مسالك للسدى تنحنى
علاماته .. كائىال الضوء
على دنس متن .. متن
تفح السواسن سم العطور
فأكفر بالعطر والسوسن
وأفصد وهمى .. لأمتصه
فيمتنى الوهم ، يمتننى ..
• •

ملاكى : أنا فى همال الشمال
أعيش .. ككأسى بلا مدمن
ترد الذهاب انتظاراً ، ونحسو
جمود موائلها الخون
غريب الحظايا ، بقايا الحكايا
من الليل لليل تستلنى
أرش ابتسامتى على كل وجه
نوسد فى دهنه اللين
ويجرحنى الضوء فى كل ليل
مرير الخطى ، صامت ، محزن
صريت به — كالشعاع الضئيل —
الى حيث لا عابر ينشئ
هى اسكندرية بعد المساء
شتائية القلب والمحضن
شوارعها خاويات المدى
سوى : حارسى لى لا يعتنى
ودورة كليين كى ينسلا
ورائحة الشبق المزمّن
ملاكى .. ملاكى .. تساءل عنك

اغتراب التفرد فى مسكنى
سفحت لك اللحن عبر المدى
طريقاً إلى المبتدأ ردى
وعيناك : فموزتان تضيئان
فى خاتم الله .. كالأعين
تمدان لى فى المغيب الجناح
مدى ، خلف خلف المدى المعن
سألتهما فى صلاة الغروب
عن الحب ، والموت ، والممكن
ولم تذكر لى سوى خلجة
من الهدب قلت لها : هيمنى !
هواى له الشمس تنهيدة
إلى اليوم بالموت لم تؤمن
وكانت لنا خلوة ، إن غدا
لها الخوف أصبح فى مأمن
مقاعد ما تزال النجوم
تحج إلى صمتها المؤمن
حكينا لها ، وقرأنا بها
بصوت على الغيب مستأذن

دنوّا ، دنوّا ففى جمعنى
حكايات حب سنى ، سنى
صقلت به الشمس حتى غدت
مرايا مساء لتزىنى
وصفت لك النجم عقداً من
الماس شع على صدرك المفتى
أردتك قبل وجود الوجود
وجوداً لتخليده لم أن
تغربت عنك ، لحيث الحياة
مناجم حلم بلا معدن
ودورة كليين كى ينسلا
ورائحة الشبق المزمّن

• • •

ملاكى : ترى ما يزال الجنوب
مشارق للصيف لم تعلن
ضممت لصدري تصاویرنا
تمـاویر تبكى على المقتنى
سأتى إليك أجر المسير
خطى فى تصلبها المذعن

سأتى إليك كسيف تحطم
في كف فارسه المشخن
سأتى إليك نجيلاً .. نجيلاً
كخبط من الحزن لم يحزن

• • •

أنا قادم من شمال الشمال
لعبين — في موطنى — موطنى !

أوتوجراف

لن أكتب حرفاً فيه
فالكلمة — إن تكتب — لا تكتب
من أجل الترفيه
(والأوتوجراف الصامت تنهدل الكلمات عليه ،
تحية
ونطرز كل مثانيه !
ماضيك
— وماضى الأوتوجراف —
بقايا شوق مشبوه
بصمات الذكرى فيك ، وفيه
وخطى العشاق المحمومة أدمت كل دواليه
لكنى أطرد كل ذهاب الماضى عن باى
فدعيه
غبرى قد يصبح سطرأ من ورق
يقلبه من يجهله أو من يدريه

غمرى قد ينبش تابوتاً براق اللون
تغفن خافيه

لكنى أطررد كل ذباب الذكرى
عن غدى المشلوه

عن ثوبى ، وطعامى ، وفراشى
عن خطوة تيهى

.....

يا أصغر من كلمائى
لن أكتب فيه

فخطى العشاق المحمومة أدمت كل دواليه ا

انتظري !.

ما اسمك ؟

يا ذات العيون الخضر والشعر الثرى
أشبهت في تصورى .

(بوجهك المدور)

حبيبة أذكرها .. أكثر من تذكرى

يا صورة لها على المرأة ، لم تنكسر
حبيبتى — مثلك —

لم تشبه جميع البشر

عيونها حدائق حافلة بالصور

أبصرتها اليوم بعينيك

اللتين صبتا فى عُمرى ..

طفولة .. منذ اتران الخطو لم تنحسر

• • •

يا ظل صيف أخضر

تصوري
كم أشهر وأشهر
مرت ولسنا نلتقى
مرت .. ولم نخوض
الماس في مناجى
مشوه التلوي
والذكريات في دمي
عاصفة التحرر
كرقصة نارية من فتيات الفجر

.....

لكنني حين رأيت الآن صورة لها
في مهجري
أيقنت أن ماسنا ما زال
حتى الجوهر
وأنا سنلتقى ..
رغم رياح القدر
وأنتى في فمك المستضحك المستبشر
أغنية للقمر
أغنية ترقص فيها القرويات

في ليالى السمر

• • •

يا ظل صيف أخضر

تصورى

كم أشهر وأشهر

مغترباً عن العيون الخضر والشعر العرى

العينان الخضراوان

العينان الخضراوان

مروحتان

في أروقة الصيف الحران

أغنيتان مسافرتان

أبعرتا من نايات الرعيان

بعبير حنان

بعزاء من آفة النور إلى مدن الأحزان

سنتان

وأنا أبني زورق حب

يمتد عليه من الشوق شراعان

كي أبحر في العينين الصافيتين

إلى جزر المرجان

ما أحلى أن يضطرب الموج فينسدل الجفنان

وأنا أبحث عن مجداف

عن إيمان !

• • •

في صمت • الكاتدرائيات • الومنان
صور • للعنراء • المسبلة الأجفان
يا من أرضعت الحب صلاة الغفران
وتمطى في عينيك المسبلتين
شبابُ الحرمان
رُدِّي جفنيك
لأبصر في عينيك الألوان
أهما خضراوان
كعيون حبيبي ؟
كعيون يبحر فيها البحر بلا شطآن
يسأل عن حبّ
عن ذكرى
عن نسيان !
قلبي حران ، حران
والعينان الخضراوان
مروحتان !

Petit Terianor

(الملهى الصغير)

لم يعد يذكرنا حتى المكان !
كيف هنا عنده ؟
والأمس هان ؟
قد دخلنا ..
لم تُشر مائدةً نحونا !
لم يستضيفنا المقعدان !!
الجليسان غريان
فما يتنا إلا . ظلال الشمعدان !
أنظري ؟
قهوتنا باردة
ويدانا — حولها — ترتعشان
وجهك الغارق فى أصباغه
وجهى الغارق فى سحب الدخان
رُميمًا

(ما ابتسما ا) ..
في لوحة خانت الرسام فيها ..

لمستان !!
تُسدل الأستار في المسرح
فلنضيء الأنوار
إن الوقت حان
أمن الحكمة أن نبقى ؟
سدى !!

قد خسرنا فرسينا في الرهان ا
قد خسرنا فرسينا في الرهان
مالنا شوط مع الأحلام
ثان !!

نحن كنا ها هنا يوماً
وكان

وهج النور علينا مهرجان
يوم أن كنا صفاراً
نمتطى صهوة الموج
إلى شط الأمان
كنتُ طفلاً لا يعنى معنى الهوى

وأحاسيسك مرخاة العنان
قطعة مغمضة العينين
في دمك البكر لهيب الفوران
عامنا السادس عشر :
رغبة في الشرايين
وأعواد لدان
ها هنا كل صباح نلتقى
بيننا مائدة
تندى .. حنان
قدمانا تحتها تعتقان
ويدانا فوقها تشتبان
إن تكلمت :
ترنمت بما همسته الشفتان الحلوتان
وإذا ما قلت :
أصفت طلعة حلوة
وابتسمت غمازتان !
أكتب الشعر لنجواك
(وإن كان شعراً يغيثي اليان)
كان جمهورى عيناك !

إذا قلته : صفقتا بتسمان
 ولكن بنصحنا الأهل
 فلا نصحهم غرّ
 ولا الموعد هان
 لم نكن نخشى إذا ما نلتقى
 غير ألا نلتقى في كل آن
 ليس ينهاني تأنيب أُنَى
 ليس تنهك عصا من خيزران ١١
 الجنون البكر ولي
 وانتهت سنة من عمرنا
 أو .. ستان
 وكما يهدأ عنف النهر
 إن قاربَ البحر
 وقاراً .. واتزان
 هدأ العاصف في أعماقنا
 حين أفرغنا من الخمر الدنان
 قد بلغنا قمة القمة
 هل بعدها إلا .. هبوط المنفوان
 الغرقنا ..

(دون أن نغضب)
لا يغضب الحكمة صوت المذبان
ما الذى جاء بنا الآن ؟
سوى لحظة الجبن من العمر الجبان
لحظة الطفل الذى فى دما
لم يزل يحبو ..

ويكبو ..
فُيعان !
لحظة فيها تنهيد الصبا
والصبا عهد إذا عاهد : خان
أمن الحكمة أن نبقى ؟
سدى

قد خسرنا فرسينا فى الرهان
• • •
قبلنا يا أخت فى هذا المكان
كم تناجى ، وتناغى عاشقان
ذهبا
ثم ذهبنا
وغداً ..

يتساقى الحب فيه آخران !

فلندعه لهما

ساقية ..

دار فيها الماء

مادار الزمان !!

البركة بين يدي زرقاء العيسية

آه .. ما أقسى الجدار
عندما ينهض في وجه الشروق .
ربما تنفق كل العمر .. كي تنقب ثغره
ليمر النور للأجيال .. مره !

... ..

ربما لو لم يكن هذا الجدار ..
ما عرفنا قيمة الضوء الطليق !!

بكائية ليلة

إلى « مازن جودت أبو غزالة »
عرفته في سنوات الساقول .
رحل مع « العاصفة » .

للوهلة الأولى

قرأت في عينيه يومه الذي يموت فيه .
رأيت في صحراء « النقب » مقتولا ..
منكفئاً .. يغرر فيها شفتيه ،
وهي لا تردُّ قبةً .. لفيه !
نتوه في القاهرة العجوز ، نسي الزمنا
نقلت من ضجيج سياراتها ، وأغنيات المتسولين
نُظِّلنا محطة المترو مع المساء .. متعين .
وكان يبكي وطنا .. وكنت أبكي وطنا
نبكى إلى أن تنضب الأشعار
نسألها : أين خطوط النار ؟
وهل تُرى الرصاصة الأولى هناك .. أم هنا ؟

• • •

والآن .. ها أنا
أظل طول الليل لا ينوق جفنى وَسَنَا
أنظر فى ساعتى الملقاة فى جوارى
حتى تجميء . عابراً من نقط التفثش والحصار
تسع الدائرة الحمراء فى قميصك الأبيض ، تبكى شج
من بعد أن تكسرت فى « النقب » رابتك !
تسألنى : « أين رصاصتك ؟ »
« أين رصاصتك »
ثم تغيب : طائراً .. جريحا
تضرب أفقك الفسيحا
تسقط فى ظلال الضفة الأخرى ، وترجو كفنا !
وحن يأتى الصبح — فى المذراع — بالبشائر
أزيج عن نافذتى الستائر ،
فلا أراك .. !
أسقط فى عارى . بلا حراك
اسأل إن كانت هنا الرصاصَةُ الأولى ؟
أم أنها هناك ؟ ؟

كلمات سبارتكونس الأخيرة

(مزج أول) :

المجد للشيطان .. معبود الرياح
من قال « لا » في وجه من قالوا « نَعَمْ »
من عَلَّمَ الانسانَ تمزيقَ العلم
من قال « لا » .. فلم يُمُتْ ،
وظل رُوحاً أبديّة الألم ا

(مزج ثان) :

مُعَلِّقٌ أنا على مشانق الصباح
وجبهتي — بالموت — محنيّة
لأننى لم أحنها .. حَيّة ا

... ..

يا اخواتي الذين يعبرون في الميدان مطرقيّن
منحدرين في نهاية المساء

فى شارع الاسكندر الأكبر :
 لا نخجلوا .. و لترفعوا عيونكم إلى
 لأنكم معلقون جانبي .. على مشانق القيصر .
 ف لترفعوا عيونكم إلى
 لربما .. إذا التقت عيونكم بالموت فى عيني :
 ينسم الفناء داخلى .. لأنكم رفعتم رأسكم .. مرة !
 • سيزيف • لم تعد على أكتافه الصخرة
 يحملها الذين يولدون فى مخادع الرقيق .
 والبحر .. كالصحراء .. لا يروى العطش
 لأن من يقول • لا • لا يرتوى إلا من الدموغ !
 .. ف لترفعوا عيونكم للثائر المشنوق
 فسوف تنتهون مثله .. غدا .
 وقبلوا زوجاتكم .. هنا .. على قارعة الطريق
 فسوف تنتهون ها هنا .. غدا .
 فالانحناء مرر ..
 والعنكبوت فوق أعناق الرجال ينسج الردى
 فقبلوا زوجاتكم .. إلى تركت زوجتى بلا وداع

وإن رأيتم طفلي الذي تركته على ذراعها بلا ذراع
فعلّموه الانحناء !

علموه الانحناء !

الله . لم يغفر خطيئة الشيطان حين قال لا !
والودعاء الطيبون ..

هم الذين يرثون الأرض في نهاية المدى
لأنهم .. لا يشنقون !

فعلّموه الانحناء .

وليس ثم من مفر .

لا تعلّموا بعالم سعيد

فخلف كل قيصر يموت : قيصر جديد !

وعلف كل ناثي يموت : أحزان بلا جدوى ..

ودمعة مدى !

(مزج ثالث) :

يا قيصر العظيم : قد أخطأت .. إني أعترف

دعني — على مشنقتي — ألتئم يداك

ها أنذا أقبل الحبل الذي في عنقي يلتف

فهو يداك ، وهو مجذك الذى يجبرنا أن نعبدك

دعنى أكفر عن خطيئتي

أمنحك — بعد ميتى — جمجمتى

تصوغُ منها لك كأساً لشرابك القوى

.. فان فعلتَ ما أريدُ :

إن يسألوك مرةً عن دمي الشهيد

وهل تُرى منحتنى « الوجود » كى تسلبنى « الوجود »

فقل لهم : قد ماتَ .. غيرَ حاقِدٍ على

وهذه الكأسُ — التى كانت عظامُها جمجمةً —

وثيقة الغفران لى .

ياقاتلى : إني صفحتُ عنك ..

فى اللحظة التى استرحتَ بعدها مُنى :

استرحتُ منك !

لكتنى .. أوصيكُ إن تشأ شق الجميع

أن ترحم الشجر !

لا تقطع الجنوع كى تنصبها مشانقا

لا تقطع الجنوع

فرجما يأتى الربيع
 « والعأم عأم جوع »
 فلن تشم فى القروع .. نكهة الثمر !
 وربما يمرُّ فى بلادنا الصيفُ الخطِرُ
 فتقطع الصحراء . باحثاً عن الظلال
 فلا ترى سوى الهجير والرمال والهجير والرمال
 والظماً التارياً فى الضلوع !
 ياسيد الشواهد البيضاء فى الدجى ..
 ياقيصر الصقيع !

(مزج رابع) :

ياأخوتى الذين يعبرزن فى الميدان فى انحناء
 منحدرين فى نهاية المساء
 لا تحلموا بعالم سعيد ..
 فخلف كل قيصر يموت : قيصرٌ جديد .
 وإن رأيتم فى الطريق « هانيبال »
 فأخبروه أننى انتظرته مدى على أبواب « روما » المجهدة

وَأَنْتَظَرْتُ شيوخ روما — تحت قوس النصر — قاهر الأبطال
ونسوة الرومان بين الزينة المعربة
ظللن ينتظرن مقدم الجنود ..
ذوى الرعوس الأطلسية المجددة
لكن « هانيبال » ما جاءت جنوده المجددة
فأخبروه أننى انتظرته .. انتظرته ..
لكنه لم يأت !
وأننى انتظرته .. حتى انتهت في جبال الموت
وفي المدى : « قرطاج » بالنار تحترق
« قرطاج » كانت ضمير الشمس : قد تعلّمت معنى الركوع
والعكبوث فوق أعناق الرجال
والكلمات تختنق
يا اخوتى : قرطاج العذراء تحترق
فقبلوا زوجاتكم ،
إنى تركت زوجتى بلا وداع
وإن رأيتم طفلى الذى تركته على ذراعها .. بلا ذراع
فعلّموه الانحناء ..

عَلِّمُوهُ الْإِنْحَاءَ ..

عَلِّمُوهُ الْإِنْحَاءَ ..

(أبريل ١٩٦٢)

الأرض .. والجرح الذى لا يفتح

الأرض مازالت ، بأذنيها دمّ من قرطها المنزوع ،
قهقهة اللصوص تسوق هودجها .. وتركها بلا زاد ،
تشدُّ أصابع العطش المبيت على الرمال ،
تضيق صرختها بمحممة الخيول .
الأرض ملقاة على الصحراء .. ظامئة ،
وتلقى الدلو مرات .. وتخرجه بلا ماء !
وتزحف فى لبيب القبط ..
تسأل من عنوبة نهرها ..
والنهر سمّة المغول
وعيونها تحبو من الاعياء ، تستقى جنور الشوك ،
تنتظر المصير المر .. يطحنها الذبول
• • •

من أنت يا حارس ؟

إلى أنا الحجاج ..

عصّنى بالتاج ..

تشرّينها القارس !

• • •

الأرض تُطوى في بساط « النفط » ،

تحملها السفائن نحو « قيصر » كي تكون إذا تفتّحت

اللفائف :

رقصة .. وهديّة للنار في أرض الخطاة .

دينارها القصدير مصهورٌ على وجناتها .

زئارها المحلول يسأل عن زناة الترك ،

والسيّاف يجلدّها ! وماذا ؟ بعد أن فقدت بكارتها ..

وصارت حاملاً في عامها الألفى من ألفين من عشاقها !

لا النيل يغسل عارها القاسي .. ولا ماء الفرات !

حتى لزوجة نهرها الدموى ،

والأموى يقعى في طريق النبع :

« .. دون الماء رأسك يا حسين .. »

وبعدها يتملكون ، يضاجعون أرامل الشهداء ،

ولا يتورعون ، يؤذنون الفَجْرَ .. لم يتطهروا من رجسهم ،
فالحق مات !

• • •

هل ثبت الثقفى
قناعه المهزوز ؟
فقد مضى تموز ..
بوجهه العرى !

• • •

أحببت فيك المجد والشعراء ..
لكن الذى سرواله من عنكبوت الوهم :
يمشى فى مدائنك المليئة بالذباب
يسقى القلوب عصارة الخدر المنمق ،
والطواويس التى نرعت تقاويم الحوائط ،
أوقفت ساعاتها ،
وتجشأت بموائد السفراء ..
تنتظر النياشين التى يسخو بها السلطان ..
فوق أكابر الأغواث منهم !
باسماء :

أكل عام : نجمة عريّة تهوى ..
وتدخل نجمةً برج البرامك ؟
ما تزال مواعظُ الخصيان باسم الجالسين على الحراب ؟
وأراك .. و« ابن حلول » بين المؤمنين بوجهه القزحيّ ..
يسرى بالوقعة فيك ،
والأنصار واجمةً ..
وكل قريش واجمةً ..
فمن يهديه للرأى الصواب ؟



ملثما بخطو ..
قد شوهته النار ا
هل يصلح العطار
ما أفسد النفط ؟



لم يبق من شيء يقال .
يا أرض :

هل يلد الرجال ؟

(مايو ١٩٦٦)

البكاء بين يدي زرقاء اليمامة

أيتها العرافة المقدسة ..

جئتُ إليك .. متخناً بالطعنات والدماء

أزحف في معاطف القتل ، وفوق الجثث المكذبة

منكسر السيف ، مغبر الجبين والأعضاء .

أسأل يازرقاء ..

عن فمك الياقوت عن ، نبوءة العنقاء

عن ساعدي المقطوع .. وهو مايزال ممسكاً بالراية المنكسة

عن صور الأطفال في الخوذات .. ملقاةً على الصحراء

عن جارتي الذي يهْمُ بارتشاف الماء ..

فينقب الرصاصُ رأسه .. في لحظة الملامسة !

عن الفم المحشو بالرمال والدماء !!

أسأل يازرقاء ..

عن وقفتي العزلاء بين السيف .. والجدار !

عن صرخة المرأة بين السبي . والفرار ؟

كيف حملت العار ..

ثم مشيت ؟ دون أن أقتل نفسي ؟ دون أن أنهار ؟
ودون أن يسقط لحمي .. من غبار التربة المدنسة ؟
تكلمي أيتها النبية المقدسة

تكلمي .. بالله .. باللعنة .. بالشيطان

لا تغمضي عينيك ، فالجرذان ..

تلعق من دمي حساءها .. ولا أردها !

تكلمي ... لشد ما أنا مُهان

لا الليل يُخفي عورتي .. ولا الجدران !

ولا اختبائي في الصحيفة التي أشدها ..

ولا احتبائي في سحائب الدخان !

.. تقفز حولي طفلة واسعة العينين .. عذبة المشاكسة

(— كان يَقْصُرُ عنك يا صغيرتي .. ونحن في الخنادق

فنفث الأزرار في ستراتنا .. ونسند البنادق

وحين مات عَطَشًا في الصحراء المشمسة ..

رطبُ باسمك الشفاه اليابسة ..

وارتخت العينان !)

فأين أخفى وجهي المتهم المدان ؟
والضحكة الطروب : ضحكته ..
والوجه .. والغمازتان ؟

• • •

ابتها النبية المقدسة ..
لا تسكتي .. فقد مكثت سنة فسنة ..
لكي أنال فضلة الأمان

قيل لي : احرس ..
فخرست .. وعميت .. واتهمت بالخصيان !
ظللت في عبيد (عبي) أحرص القطعان
أجتز صوفها ..
أردنوقها ..
أنام في حظائر النسيان
طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض الثمرات اليابسة ..
وها أنا في ساعة الطعان
ساعة أن نخاذل الكماة .. والرماة .. والفرسان
دُعيت للميدان !

أنا الذى ما ذقتُ لحمَ الضأن ..
أنا الذى لا حولَ لى أو شأن ..
أنا الذى أقصيت عن مجالس الفتيان ،
أدعى الى الموت .. ولم أدع الى المجالسة !!
تكلمى أيتها النبىة المقدسة
تكلمى .. تكلمى ..
فها أنا على التراب سائلٌ دمي
وهو ظمىء .. يطلب المزبدا .
أسائل الصمت الذى يخفقنى :
« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٩ »
« أجندلاً يحملن أم حديدا .. ١٩ »
فمن ترى يصدّقنى ؟
أسائل الرُكع والسجودا
أسائل القيودا :
« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٩ »
« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٩ »
. . .

أيها العرافة المقدسة ..

ماذا تفيد الكلمات البائسة ؟

قلبي لهم ما قلتي عن قوافل الغبار ..

فاتهموا عينيكي ، يازرقاء ، بالبوار !

قلبي لهم ما قلتي عن مسيرة الأشجار ..

فاستضحكوا من وهمك الثرثار !

وحين فوجئوا بمجد السيف : قايمضوا هنا ..

واتمسوا النجاة والفرار !

ونحن جرحى القلب ،

جرحى الروح والضمير .

لم يبق إلا الموت ..

والخطأ ..

والدمار ..

وصبيبة مشردون يعبرون آخر الأنهار

ونسوة يسقن في سلاسل الأسر ،

وفي ثياب العاز

مطاططات الرأس .. لا يملكن إلا الصرخات التاعسة !

.....

ها أنت يازرقاء
 وحيدة ... عمياء ا
 وماتزال اغنيات الحب .. والأضواء
 والعربات الفازمات .. والأزياء ا
 فأين أخفى وجهي المشوَّها
 كي لا أعكر الصفاء .. الأبهة .. الموهما .
 في أعين الرجال والنساء ؟!
 وأنت يازرقاء ..
 وحيدة .. عمياء ا
 وحيدة .. عمياء ا

(١٣ - ٦ - ٦٧)

أيلول

(جوقة خلفية)

(صوت)

(١)

ها نحن يا أيلول

لم ندرك الطعنة

فحلت اللعنة

في جيلنا المخبول !

... ..

قد حلت اللعنة

في جيلنا المخبول

فنحن يا أيلول

لم ندرك الطعنة !

... ..

نَجِّن الباكي في هذا العام

يجمع عنه في السجن قلنسوة الأعداء

سقط من سترته الزرقاء.. الأرقام !

يشي في الأسواق : يبشر بنبؤته الدموية

ينة أن وقف على درجات القصر الحجرية

يقول لنا : ان سليمان الجالس منكفئا

هوى عصاه

قد مات ! ولكننا نحسبه يغفو حين نراه !!

لأواه .

قال .. فكمنناه ، فقأنا عينيه الذاهلتين

وسرقنا من قدميه الخفين الذهبيين

وحشرناه في أروقة الأشباح المزدهمة

(صوت) :

ونسينا يا ايلول الكلمة .

...

(٢)

..

في سورة

كانت تتهاوى رايات أمية

فرضناها علماً علماً .. ووقعنا في أسر الروم

لكننا في طابور الأسرى المهزوم

كنا ننتظر زياد بن أبيه

ليعود ، فينقذنا مما نتسر بل فيه .

كنا لبصر وردتنا الصابحة الحمراء

تنمو في شرفة بيت في حلب الشهباء

وظللنا ننتظر .. تطول الأظفار .. ويبيض

السالف

.. ذات صباح عاصف

كنا نشرب حين أتتنا الأنباء

.. فتمكر لون الماء !

(جوقة خلفية) :

فحلت اللعنة !

..

الأمراء الصم

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا « الداخل »

يعبر نهر الدم !

... ..

لم يبق إلا « الداخل »

يعبر نهر الدم !

والأمراء الصم

ماتوا على المداخل

... ..

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا « الداخل »

في ضجة المذياع

لو زرت دمشق

لوقفت على أبواب « المزه » ولتابع
الطرق

يخف صوت الحق !
فمن يقول الصدق .

ودلفت الى غرفات التعذيب ..

(جوقة خلفية) :

(صوت) :

ورأيتك تضحك يا أيلول وأنت على
الأحشاب تدق .

كى نرهف الأسماع ؟

... ..

فلقد أبصرتك في آخر ليلة

من ذا يقول الصدق

مصلوباً تتأرجع في باب زويلة !

ولست أصابع قدميك هنيهات ما بين

كى نرهف الأسماع ؟

الدهشة والتكذيب

فضجة المذياع

وحشوت جراحك بباب الأرض : ١١ : ٥٠

تنحفت صوت الحق !

ولفقتك في الرايات المنكودة

وحملتك حتى وارستك في مقبرة

الصمت .. وراء الشرق .

لكنى أسمع صوتك في الليل ؟ تغنى

ينحفت صوت الحق

بأيلول

نجعل من تجويفات عظام الموقى : قصبات
الأرغول

فمن يقول الصدق ؟

فيجىء غناؤك . ممزوجا بنحيب !

... ..

(صوت) :

(الجوقة) :

نتنظر الريح

هذا العام ..

أعطينا جرحانا آخر ما يملكه الصيف من
الأنسام

من كل ضريح

وبقينا في المهد المختنق المبحوح .

..

من كل ضريح

لكنا من كل ضريح

نتنظر الريح

نتنظر الريح !

... ..

... ..

(سبتمبر ١٩٦٧)

(١)

عرفت هذه المدينة الدخانية .
مقهى فمقهى .. شارعاً فشارعاً
رأيت فيها (البشمك) الأسود والبراقعا
وزرت أوكار البغاء واللصوصية ا
على مقاعد المحطة الحديدية ..
نمت على حقائبى فى الليلة الأولى
(حين وجدت الفندق اللبلى مأهولا ؟)
وانقشع الضباب فى الفجر .. فكشفت البيوت والمصانعا
والسفن التى تسير فى القناة ؛ كالأوزر ..
والصائدين العائدين فى الزوارق البخارية !

• • •

(رأيتُ عمال • السماد • يهبطون من قطار • المحجر • العتيق
يعتصبون بالمناديل الترابية
يدندنون بالمواديل الحزينة الجنوية

وهصبح الشلوع .. درياً .. فزقاً .. فمضيق
فيدخلون في كهوف الشجن العميق
وفي بحار الوهم : بصطادون أسماك سليمان الخرافية !

• • •

عرفت هذه المدينة ؟
سكرت في حاناتها
جُرحت في مشاحناتها
صاحبت موسيقارها العجوز في (تواشيح) الغناء
رهنت فيها خاتمي .. لقاء وجبة العشاء
وابتعتُ من « هيلانة » السجائر المهربة .
وفي « الكباشون » سبحتُ
واشتهيت أن أموت عند قوس البحر والسماء !
وسرتُ فوق الشُعَب الصخرية المدية
أَلْقُطُ منها الصَّدَفَ الأزرق والقواقعا .
وفي سكون الليل ؛ في طريق « بور توفيق »
بكيّت حاجتي الى صديق
وفي أثر الشوق : كدت أن أصير .. ذبذبة !
(٢)
والآن ؛ وهي في ثياب الموت والفداء

نحصرها النيران .. وهى لا تلتين
 نذكر مجنسى اللاهى .. على مفاهى « الأربعين »
 بين رجالها الذين ..
 يقتسمون خبزها الدامى . وصمتها الحزين
 ويفتح الرصاصُ — فى صدورهم — طريقنا إلى البقاء .
 يسقط الأطفال فى حاراتها
 تضبط الأهدى على خيوط « طائراتها »
 وترغى — هاملة — فى بركة الدماء .
 وتأكل الحرائق ..
 بيوتها البيضاء والحدائق ..
 ونحن ها هنا .. نعزُّ فى لجام الانتظار !
 نصفى الى أنبائها .. ونحن نحشو فمنا ببيضة الافطار !
 تسقط الأيدى عن الأطباق والملاعق
 أسقط من طوابق القاهرة الشواهد
 أبصر فى الشارع أوجة المهاجرين
 أعانق الحنين فى عيونهم .. والذكريات
 أعانق المحنة واليبات .

... ..

هل تأكل الحرائق

يوثها اليبضاء والحدائق
بينما تظل هذه « القاهرة » الكبيرة
آمنة .. قريه ؟!
تضوء فيها الواجهاثُ في الحوانيت ، وترقص النساء ..
على عظام الشهداء ؟!

يوميات كهل صغير السن

- ١ -

عرف أن العالم في قلبي .. مات !
نكتي حين يكف المذياغ .. وتنلق الحجرات :
نبش قلبي ، أخرج هذا الجسد الشمعى
بأسجيه فوق سرير الآلام .
أفتح فمه ، أسقيه نبيذ الرغبة
فلعل شعاعاً ينبض في الأطراف الباردة الصلبة
نكن .. تنفت بشرته في كفى
لا تبقى منه .. سوى : جمجمة .. وعظام !

- ٢ -

تنزلقين من شعاع لشعاع
وأنت تمشين — تطالعين — في تشابك الأغصان في الحدائق
حالة .. بالصيف في غرفات شهر العسل القصير في الفنادق
ونزهة في النهر ..
واتكأين على شراع !

... ..

.. وفي المساء ، في ضجيج الرقص والتعانق

تنزلقين من ذراع لذراع !

تنتقلين في العيون ، في الدخان العصبي ، في سخونة الإيقاع

وفجأة .. ينسكب الشراب في تحطم الدوارق

يل ثوبك الفَراشي .. من الأكام حتى الخاصرة !

وحين يَفْغَرُ المغنى فمه مرتبكا

تنفجرهن ضحكا !

تشتعلين ضحكا !

وتخلعين الثوبَ في تصاعيدات النغم الصارخ .. والمطارق

وتخلعين حُفْكَ المشبك

ثم ...

نواصلين رقصك المجنون .. فوق الشُّطْرَيَاتِ المتناثرة !!

- ٣ -

عينا القطرة تنكمشان ..

فيدق الجرسُ الخامسة صباحا !

أتحسس ذقني النابتة .. الطافحة بثورا وجراحا

(.. اسمع خطو الجارة فوق السقف

دَفءُ الأَغْطِيَةِ ، خَرِيرُ الصَّنْبُورِ
عَشْخَشَةُ المَذْيَاعِ ، عَدْوِيَّةُ جَسَدِي المَبْهُورِ
(.. والخطو المتردد فوق ليس يكف .. !)
يُكْنَى في دَقَّةِ بَائِعَةِ الأَلْبَانِ :
تَتَوَقَّفُ في فَكِّي .. فَرشَاةُ الأَسْنَانِ !

- ٤ -

في الشارِع ..
أَتَلَاقِي - في ضَوْءِ الصَّبْحِ - بِظُلِّي الفَارِغِ :
نَتَصَافَحُ .. بِالأَقْدَامِ !

- ٥ -

حَبِيبَتِي ، في الغُرْفَةِ المَجَاوِرَةِ
أُسْمِعُ وَقَعَ خَطْوِهَا .. في رُوحَةٍ وَجِئَةٍ
أَسْمِعُ قَهْقَهَاتِهَا الخَافِتَةَ البَرِيَّةَ
أَسْمِعُ تَمَتُّاتِهَا المَحَاذِرَةَ
حَتَّى حَفِيفِ ثَوْبِهَا ؛ وَهِيَ تَدُورُ في مَكَانِهَا .. نَهْمٌ بِالمَغَادِرَةِ
(.. يَوْمَانِ ؛ وَهِيَ إِنْ دَخَلَتْ :
تَشَاغَلَتْ بِقِطْعَةِ التَطْرِيزِ ..
بِالنَّظَرِ العَابِرِ مِنْ شَبَاكِهَا إِلَى الْإِفْرِيزِ ..

بالصمت إن سألت !)
.. وعندما مرت على ؛ بقعة مضيئة ؛
أثقت وراء ظهرها .. نحية انصرافها الفاترة
فاحتقنت أذناى ، واختبأت فى أعمدة الوظائف الشاغرة
حتى تلاشى خطوها .. فى آخر الدهليز !

- ٦ -

أطرق باب صديقى فى منتصف الليل
(تشب القطعة من داخل صندوق المضلات)
كل الأبواب ؛ العلوية والسفلية ، تُفتح إلا .. بابه
وأنا أطرق .. أطرق
حتى تصبح قبضتى المحمومة خفاشاً يتعلق فى بندول « !

... ..

يتدفق من قبضتى المجروحة خيط الدم
يتفرق .. عذباً .. منساباً .. يتساند فى المنحنيات
تغتسل الرئتان المتعبتان من اللون الدافئ ،
ينفث السّم ..
يتلاشى الباب المغلق .. والأعين .. والأصوات
... وأموت على الدرجات !!

تدق فوق الآلة الكاتبة القديمة

وعندما ترفع رأسها الجميل في افتراق الصفحتين
تراه في مكانه المختار .. في نهاية الغرفة
يرشف من فنجانهِ رشفه

يريح عينيه على المنحدر الثلجي ، في انزلاق الناهدين !
(.. عينيه هاتين اللتين

تغسل آثارهما عن جسمها — قبيل أن تنام — مرتين !)
وعندما ترشفه بنظرة كظيمة
فيسترد لحظة عينيه : يتسم في نعومة
وهي تشد ثوبها القصير فوق الركبتين !
... ..

.. في آخر الأسبوع
كان يُعَدُّ — ضاحكا — أسنانها في كتفيه
فقرصت أذنيه ..
وهي تدس نفسها بين ذراعيه .. وتشكو الجوع

- ٨ -

حين تكونين معي أنت :
أصبح وحدى ..

في بيتي !

... ..

- ٩ -

جاءت إلى وهي تشكو الغثيان والدوار
(.. انفقْتُ راتبي على أقراص منع الحمل !)

ترفع نحوى وجهها مبتلة ..
تسألني عن حل !

... ..

هنأني الطيب ! حينما أصطحبْتُها اليه في نهاية النهار
رجونه أن يُنهي الأمر .. فتأّر (.. واستدار يتلو قوانين
العقوبات على كي أكفُ القول !)

هامش :

أفهمته أن القوانين تُسنُّ دائماً . لكي تخرق
أن الضمير الوطني فيه يُملأ أن يقلُّ النسل
أن الأثاث صار غالياً لأن الجذب أهلك الأشجار
لكنه .. كان يخاف الله .. والشرطة .. والتجار !

- ١٠ -

في ليلة الزفاف ؛ في التوهج المرهق

ظلت تُدير في الوجوه وجهها المتصير المشرق
وحين صرنا وحدنا — في لحظة الصمت الكثيف الكلمات
داغبت الخاتم في اصبعها الأيسر ، ثم انكمشت عجلى !
(.. كانوا — وراء الباب — يكنسون النور والظلاً
وتخلع الراقصة الشقراء عريها .. وتحسب الهبات !)
قلت لها « ما أجمل الحفلا »
فاطرقَت باسمّة الغمازتين والسمات .
وعندما لمستُها : تنظجت أطرافُها الوجلى !
وانفلتت عجلى .. !
كأنها لم تذق الحب .. ولم يثر بصدرها التهذات !!

- ١١ -

مذ علّقنا — فوق الحائط — أو سمة اللهفة
وهى تطيل الوقفة في الشرفة !
واليوم ..

قالت إن حبالى الصوتيّة تقلقها عند النوم !
.. وانفردت بالرفة !!

- ١٢ -

في جلسة الافطار ، في الهنيهة الطفليّة المبكرة
أعصب عيني بالصحيفة التى يدّسها البائع تحت الباب

وزوجتى تبدأ ثرثرتها اليومية المتأبرة
وهى تصبُّ شائها الفاتر فى الأكوأب !
(.. تقص عن جارعتها التى ارتدت ..
وجارها الذى اشترى ..
وعن شجارها مع الخادام والبواب والقصاب ،
.. ثم تشد من يدي : صفحة الكثرة) !

- ١٣ -

.. العالم فى قلبى مات .
لكنى حين يكف المذباغ ؛ وتنطلق الحجرات :
أخرجه من قلبى ، وأسجيه فوق سربرى
أسقيه نبذ الرغبة
فلعل المدفء يعود الى الأطراف الباردة الصلبة
لكن .. تفتت بشرته فى كفى
لا يتبقى منه سوى .. جمجمة .. وعظام !
... وأنام !!

(١٩٦٧)

اجازة فوق شاطئ البحر

أغسطس ،

الاسكندرية :

واليود ينشع في رثتين ..

يسد مسأهما الربو .. والأتربة !

...

طفولة مايو ، تشيخ ،

وفي الصبح : نرفع راياتنا البيض للبحر .. مستسلمين ،

لنخرنا الملح ، بمنح بشرتنا الحمى البرصى ،

ونفرش أبسطة الظهر ، نجلس فوق الرمال ،

نمزج في حزننا الغامض الشبقي .. لكى يتوهج !

(.. حين همنا بأمساكه : احترقت بدنا) ،

نتلمس ثدى البكارة .. كيف تجف النضارة فيه ،

يفرز سماً .. ودوداً يعيث بتفاحه معطبة ؟!

.....

وفي الليل . نخفض راياتنا ..

ننقضُ الهدنةَ الأبديةَ ،
 نجرؤُ أن نتساءلُ « هل نحنُ موتى » ١٩
 وجولائنا فى الملامى ،
 اهتزازُنا فى الترام ،
 تلاصقنا فى ظلام المداخل ،
 ذبذبة النظرات أمام المعارض والعابرات الرشقات ،
 مركبةُ الخيل حين تسمر الهوينى بنا ،
 الضحكات ، النكات :-
 بقايا من الزيد المر .. والرغوة الذاهبة !!
 « تُرى نحنُ موتى .. »
 وننشُبُ أنيابنا فى الطيور المهاجرة المتعبة !!

(٢)

صديقى الذى غاص فى البحر .. مات !
 فحفظته ..

(.. واحتفظتُ بأسنانه ..)
 كلُّ يومٍ إذا طلع الصبحُ : أخذُ واحدةً ..
 أقذف الشمسَ ذات الحيا الجميل بها ..
 وارددُ : « يا همسُ ، أعطيك سنتهُ اللؤلؤة ..
 ليس بها من غبار .. سوى نكهة الجوع !!

رُدِّيه ، رُدِّيه .. يَروِ لنا الحكمة الصائبة ،
ولكنها ابتسمت بسمّة شاحبة !

.....

وكانت على البحر رايةً حزين ، وغضبةً ريح
ونحن — مع الصمت — نحمل جثمانه فوق اكتافنا ،
ثم نهبط في طرقات المدينة ،
نستوقف العابرين ،

نسألهم عن طريق المدافن .. والرحلة الخائبة !
ولكننا في النهاية ..

عدنا الى شاطئ البحر .. والراية الغاضبة !!

• • •

بدايتنا البحر ..

— حين قصدنا المقابر ! —

كيف رجعنا إليه ؟

وكيف الطريقُ اشتبه ؟

(١٩٦٦)

موت مغنية مغمورة

صوت (١) :

أغلقى. الملهياغ ؛

هذا زمن السكينة ،

« سالومى » تغنى ..

من تُرى يحمل رأس « المعمدان » ١٩

في انكسارات الظلال ..

تبدأ الأحزان في أعماقنا إيقاعها الهادىء ،

تصحو الرغبة المرتعشة .

تنوال قطرات الصمت من صنورها الفضى ،

كى ترسم فى صفحة ماضينا .. اللواتر

صورةً لأمرأة تجلس فى البهو — تحوُّك الصوف —

فى مفرزها البيتى ، لقاء الضفائر

نقراث المطر العذبة فى النافذة البيضاء ،

دقُّ الدفء من تمنية القطعة ،

موسيقى السكون الموحشة

مركباتُ الغدِ تدنو في الخيال ..
تسهل الأفراسُ عند الباب :
— « أين القادمون ؟ »
— الليل .. الوحدة .. والشوق المحال !

(تقاسيم) :

عقب استعراضها الفاشل .. لم تخلع رداء الرقص ،
ظلت خلف أستار « الكواليس » ،
تُرْدُ السحبَ الزرقاءَ عن أعينها ، تبكي شباباً ..
كانت المتعة فيه : قطعة الجبن .. وكأسين من « الروم »
لكي تمرح في غرفة ريفي من الطلاب ..
لا تملكُ بمناء سوى الكسرة والتبغ الرخيص ،
— الآن يمشي خلفه .. سربٌ من الأطفال ،
عند النوم يسطون على منظاره الطبي .. حتى لا يرى
وجهها صافٍ .. وعيناها هديران من الحزن ،
ويدنو الحادُّ الأسمرُ ، يلقى باقة الورد ،
ويلقى دعوةً للسهر ..
(. الآن متمضى ،
وغدا سوف يوافيها الطبيب — الموت والاجهاض —

هلا شهرها الثالث . رغم الحلو الشائع !
 حتى أنت يا أقرص منج الحمل !
 ما من أحد في هذه الدنيا جدير بالأمان !

منفرد

مَنْ يَفْتَرِسُ الْحَمْلَ الْجَائِعَ
 غَيْرَ الذِّئْبِ الشَّيْطَانِ ؟
 ارتاح الربُّ الخالق في اليوم السابع
 لكن .. لم يسترح الإنسان

صوت (٢) :

وحدها .. تساقط اللمة من عين الليل
 بعد أن علقها الوهم طويلا ..
 وحدها ؛ سرعان ما ترشفها الأرض ؛
 وينساها الرجال
 شربوا قهوتها المرة ، والمذاغ مازال يفتنى ؛
 والمصايح نضاء ؛

الموت في لوحات

(١)

مصفوفة حقايبى على رفوف الذاكرة .

والسفر الطويل ..

يبدأ دون أن تسير القاطرة !

رسائل للشمس ..

تعود دون أن تمس !

رسائل للأرض ..

ترد دون أن تُفَضَّ !

يميل ظلى في الغروب دون أن أمل !

وها أنا في متعدي القائط .

وربقة .. وربقة .. يسقط عمرى من تهجة الحائط

والورق الساقط

يطفو على بحيرة الذكرى ، فتلوى دوائر

وتختفى .. دائرة .. فدائرة !

(٢)

شقيقتى ، رجاء ، ماتت وهى دون الثالثة .

ماتت وما يزال في دولاب أمي السرى .
 صندلُها الفضى !
 صدارُها المشغول ، قرطُها ، غطاء رأسها الصوفى
 أرنبها القطنى !
 وعندما أدخل بهو بيتنا الصامت
 فلا أراها تمسك الحائط .. عليها تقف !
 أنسى بأنها ماتت ..
 أقول . ربما نامت ..
 أدور في الغرف .
 وعندما تسألنى أمى بصوتها الخافت
 أرى الأمى في وجهها المتقع الباهت
 وأستين الكارثة !

(٣)

عرفتها في عامها الخامس والعشرين .
 والزمنُ العنّين ..
 ينشب في أحشائها أظفارَه الملوّنة .
 صلّت إلى العنراء ، طوقت بكل صيدلية
 تقلبت بين الرجال الخشنين !
 .. وما تزال تشتري اللفائف القطنية !

.. ما تزال تشتري اللفائف القطنية !

... ..

وحين ضاجعت أباها ليلة الرعد
تفجرت بالخصب والوعد
واختلجت في طينها بشارة التكوين !
لكنها نادت أباها في الصباح ..
فظل صامتا !
هزته .. كان ميتا !!

(٤)

من شرفتي كنت أراها في صباح العطلة الهادئ
تنشر في شرفتها على خيوط النور والغناء
ثياب طفليها ، ثياب زوجها الرسمية الصفراء
قمصانه المغسولة البيضاء .
تنشر حولها نقاء قلبها الهانيء
وهي تروح ونحيء .

... ..

والآن بعد أشهر الصيف الرديء
رأيتها .. ذابلة العينين والأعضاء
تنشر في شرفتها على حبال الصمت والبكاء

(٥)

حببني في لحظة الظلام ؛ لحظة التوهج العذبة
تصبح بين ساعدتي جثة رطبة !
ينكسر الشوق بداخلي ، وتخفت الرغبة
أموء فوق خدها
أضرع فوق نهدها
أود لو أنفذ في مسام جلدتها
لكن .. يظل بيتنا الزجاج .. والغياب .. والغربة !

... ..

وذات ليلة ، تكسرت ما بيننا حواجز الرهبة
فاحتضنتني .. بينما نحن نفوس في قرارة التربة
تبعثرت في رأسها شرائح الصورة والنجوم
واختلطت في قلبها الأزمنة الهشيم
لكنها وهي تناجيني
سمعتها تناديني

باسم حبيبها الذي قد حطم اللعبة
مخلفاً في قلبها .. ندبة !!

بطاقة كانت هنا

(١)

المنزل الثالث بعد المنحنى
الطابق الأخير .
بطاقة صغيرة كانت هنا
وخيط ضوء كان من خلال بابها ينير !
الطابق الأخير ..
الوحشة السوداء في الأعصاب تنفوس
يدى على الجرس :
سدى .. سدى !!
تراجعت في أذنى رحلة الصدى
وأساقط الرماد من لفافى !
كانت هنا حبيبتى
عيونها محابر الضياع
عام .. وعامان .. مدادها الحزين لم يجف
صلاة هرة إلى الشتاء خلف باب

وبسمة كأن نورساً على المدى يرفأ
ها أنذا ..

يدّ تساندت على الجدار .
وخطوة تهبط للقرار ا

(٢)

حانوث خمّار كيب
يرسم في ككوسه عرائس الأحلام ؛ في الزجاج
توهجت عند امتلائها ..

وبعد برهة .. عاودها الشحوب ا
حبيبتى ملامح ابتسامية على يريقها الوهاج
« بنلوب » أين أنت يا حبيبتى الحزينة ؟
صيفان ملحدان في مخاطر الأمواج
كقبضة من العفونة ..

أعود ، كى يختسل الحنين في بحيرة اللهب .
لكننا « بنلوب » ..

بطانة كانت هنا ا

ورحشة غريبة ، وثقب باب لم يعد يضيء ا
وعنكبوت قد أتم — فوق ركنه — نسيجه الصوفى ا

لقد أنتم العنكبوت ما بدأت في انتظارك الوفي !
ما كان كان ..

لكنها ملاح الزجاج
لا تعرف النسيان !

(٣)

الليل عند المنتصف
يا سائق السيارة العجوز .. قف
المنزل الثالث بعد المنحنى .
لكنها يا صاحبي العجوز .. لم تعد هنا !
امض هناك حيث لا مكان
حيث البيوت دوغما عنوان
أوغل بنا في رحلة السراب
قافلة الغناء تستعد للمسير خلف دورة الهضاب
لا تسأل الحادين عن وجهتها ، عن المآب
فهم هناك يرقبون أصبع النجوم
ضاعت معالم الطريق في الضباب .
حييتي لا بد أنها هناك
تسأل عن رواحل ارتدت من الغروب
لا ترتبك ، فقد يصيع العمر في عنية ارتباك .

حييتنى : لقد نجوتُ من « سلوم »
طفلك آتٍ من مدينة الخراب
الموت ما يزال مقعياً على الأبواب
الخاطئون . . .
هم الذين يرحلون
في هذه القافلة المسدودة الدروب
... ..
سدى .. سدى..
تراجعت في أذنيّ رحلة الصدى
وأساقط الرماد من لفاتي .

ظماً .. ظ

جسدى : صخرة صهرتها الظهيرة .
حلقها يفتت ،
والبحرُ بعد ذراعين .. بُعد السماء !
فرسُ الموج تنفض أعرافها البيض ،
تعدو بمركبة الزرقة اللهيّة ،
لكنها تحطم فوق الحواجز .. تهوى كسيرة !
أكشف الرأسَ تحت الرذاذ ،
أمدُ يدي حاملاً كويّ الفارغ الورقى ..
لتسبح فيه الفقاقيع ذات العيون الصغيرة
عطشٌ .. عطشٌ ، والنداء .
خنجر فى الهواء !
حين صار فمى فضة : وقف الببغاء ..
عاريا .. نزعت ريشه يدها المحنقة .
قالت الزنبقة :
« أرخ عنيلك .. وافتحهما .. »
ثم .. لم ألفها لى شجيرتها المطرقة !

شعرها طائر جرفته الرياح

شعرها والوشاح

وهي تملو .. وما يتنا الصمت والقشعريرة !

كل من شربوا .. هربوا دون أن يدفعوا ثمناً للعزاء

رَحَلوا .. بعد أن قلبوا في التراب الاناء .

ووفدت على الحان : لم أر غير الحطام ..

وذبال المصاييح .. والقط يعث بالفضلات الأخيرة .

— سيدى : مُلكك الحزن والكبرياء

خيطك ؟ انقطع الخيط منك ،

وعصفوره قر دامي الجناح !

أمراء المدينة مروا إلى الصيد عند الصباح

الفريسة تجرى .. ولكن كلبك يُرخى الذئب

وهو يكتم في رثيه النباح !

في سكون المساء

كنت أنقر عين الشهيد المجسم فوق النصب

حين مر السكارى .. يدورون في حلقات الصخب

يدأون الغناء:

« ياعيون النساء »

« أمطرى .. أمطرى »

« من تُرى تشتري خنجري »
 « لتخبئه في حقيبتها .. »
 « ثم تبقر بطن غريميتها المومياء ؟ »
 (. أيها الأشقياء !)
 .. مرُّى التائه المغترّب
 فتمدد فوق الحشائش .. ملتصقاً بالرخام
 وتوسد دمه ، ثم نام .
 (ظمئ الناس للدم في كل قلبٍ محب ..
 فاسقهم يا غلام !)
 مرُّى غاسلو الطرقات
 فأداروا خراطيمهم ، غسلوا الشعب الحجري ،
 .. وكنتُ على الدرجات
 أتأوه مرتعشاً ، وثيائى تلصق في جسدى المضطرب
 والرياح تهب ، وتصفنى بالعواء .

 أهلى الغرباء .
 عثروا لى مع الصبح ، أهذى بغيوبة الموت ،
 محتقن الوجه ، خاوى الوفاض
 يتفتت حلقي لقطرة حُب ..
 غير أن الينابيع جفت بعينى ، والبحر غاض ..

والشروط العراض
تناءى ..

ويهى البياض !

الحزن لا يعرف القراءة

تأكلنى دوائرُ الغبار .

أدور فى طاحونة الصمت ، أذوب فى مكانيّ المختار
شيئاً فشيئاً .. يختفى وجهى وراء الأفتحة

أعمدة البرق التى تطل من نوافذ القطار

كأنها سربُ إوزٍ أسود الأعناق

يطلق فى سكينتى صرخته المروعة

ويختفى .. متابعاً رحلته مع التهار !

(صوتك كان ؟

أم نعاسُ الشهوة الماكر ما بين انفراج الشفتين ؟

هذا الذى يشبك قلبى خاتماً .. تحت نعومة القفاز

حتى إذا اغتسلتْ — فى نهاية السهرة — من لزوجة الألفاظ

تخبئته على نافذة الحمام .. يستعيد ذكرياته ..

ويسترد الزمن الضائع بين الصورتين ٩١)

توقفى أيتها الأشرطة البيضاء

فقد نرى الخيط الذى خلفه الثعبانُ فوق الصحراء

قد نرى عظام من ماتوا من الظمأ
 قد نرى .. وقد نرى ..
 كنها الأشياء ..
 دب فيها نبضها الوحشئ ، نبضها المكبوث
 نرو على وجهى دقيق دفتها ..
 مزقاً من ورقات-الثوث .
 شرع فى العيون صولجانها المكسو بالصدأ
 فى المقاهى ترفع الصوت ، وتحكى عن فضائح البيوت !
 - فى آخر العمر ، تصير الأذن عادة ..
 سلة مهملات .. !

~

(جوارب السيدة المرتخبة
 ظلت تثير السخرية
 وهى تسير فى الطريق .
 وحين شدتها : تمزقت ..
 فانفجر الضحك ، ووارت وجهها مستخذية .
 وهكذا أسقطها الصائد فى شباك سيارته المفتوحة
 فارتبكت وهى تسوى شعرها الطليق
 وأشرقت بالبسمات الباكية !)

لقد فقدتُ مقعدى .. قبيل أن يرتفع الستار
وانكسرت في داخلي الرغبة في استرداده ، الرغبة في الشجار
فكل شيء يرتخي في لحظة التأهب المرتقبة
وتعبث الأيدي بأزرار قميصها المذهبة
وتنظفي فقاعة السخط .. بيسمة اعتذار !
شيئاً فشيئاً .. غاب عن قلبي خيط الضوء !
واللحظة الملتبئة !
والنشوة الأولى التي تشد الظهر ..
حين يبدق سمعنا لإيقاع خطو امرأة مقتربة !
وضحكة العذراء عندما يرشها رذاذ البحر !
والألم الذي يهضرنا لطفلة عرجاء !
والدفء في استغراق كهل جالس ، يحل في هدوء ..
مسابقات الكلمات .. !!

رموسنا تسقط .. لا يسندها ..
إلا حواف الياقة المنتصبة !
فارحم عذابي أيها الألم ..
واسند حطامي النهار .

(١٩٦٧)

بكائية الليل والظهيرة

- ١ -

في كل ليل ..

تخلع الذكرى ملابسها المغيرة القديمة ،

تستحم برشرشات الضوء ؛ تفصل فيه ، وعشاء الطريق

وتسترد نضارة الألوان .. والمرح القديم .

ندماناً .. كالظلل ، تخلع خُفها المبلول ،

تستلقي جوارى في الظلام ؛ قضى بشرتها :

برائحة التوغل في الحقول ..

برعشة القمر المؤرجع في مرايا النيل ..

بالقطرات تلمع في منابت شعرها المهلول ..

بالنبض الحجول .. يرف في استدفائها ..

باللغة الغناء في الصوت الرخيم

.. وذراعها يلتف : يرتعش التوهج تحت لمستهِ .

وتقلع آخر السفن المقدسة المضيفة من مرافقها ؛

تشق النهر ؛ تنثر ما تبقى من رمادى :

فوق أذرعة الخريف البائسات .. فتكتسى ،

فوق الشفاه اليابسات .. فترتوى ،
فوق المروج .. فتطوى في الليل موسيقى الجنادب ،
في الحظائر .. يهدأ المهرُ الحرون ،
على مناقير الطيور .. فتطعم الأفراخ من توت الغناء الحلو
في عقم السماء .. فتنبض البشرية : رتعتقد الغيوم .

يا دقة الساعات
هل فاتنا .. مافات ؟
ونحن مازلنا ..
أشباح أمنيات
في مجلس الأموات ؟

- ٢ -

فاض النهارُ بنا ، فمزق عن تصوفنا معاطفنا ،
وألقانا على أعتاب مملكة التهمة ، والذباب يطنُ ،
والكلمات : أقداح مكسرة الحواف ..
إذا لثمناها .. تجرحت الرؤى !
والصمت : قضبان محمأة على وهج البكاء .
(فاض الاناء ، وعامل البرق الصغير يدق باب : ت ؛

• — آوهِ وتسقطُ الشمسُ الصغيرة عن رداء النوم
تبكى المرأةُ الأفعى على كتف العشيق ،
وتستزيد من البكائيات ، تلقم صدرَها العارى يديه ..
— لعله يبنى بها بعد الحداد ! —
تدير عينيها اللتين تندتا .. فأذابنا بقع الظلاء ؟)

١٥٥

كان الطريق يدير لحنَ الموت — كان جهنمُ الصوت — :
فوق شرائط التسجيل ..
في أسلاك هاتفهِ المختل ..
في صرير الباب من صدأ الغواية ..
في أزيز مراوح الصيف الكبيرة ..
في هدير محرّكات • الحافلات • ..
وفي شجار النسوة السوقي في الشرفات ..
في سأم المصاعد ..
في صدى أجراس إطفائية تعدو .. مصلصلة النداء .
(.. كوني إذن ما شئت :
ساقطة تلور على مواخير الموائء ،
وجه راهبة تضاجع صورة العذراء ،
أماً تأكل الأطفال ،

كولى أى شئ — فيه نفمس خبزنا الحجرى — ملتهب
الدماء !

تدمُ الغبار يلمح فوق وجوهنا ،
ونلوذ بالجدران نحفر فوقها أسماءنا .. لكنها تتفتت !
الجدران وهم ..
والرجالُ الملتصقون على مساحة صفحة الاعلان ،
والصورُ الثمينة فى المعارض ، والنقوش على المعابد ،
والوسامُ العسكريُّ لأنبيل الشهداء ،
والزهو الذى يندسُّ فى رحم النساء .
(.. تلك المرارة :

سمحت جلسات شاي العصر ..
سمحت انتعاشتنا بلمس الماء فى حمامنا الصيفى —
سمحت البراءة فى تساؤل طفلنا من أين جاء !)

ها آخر "لذقات
قولى لنا .. من مات .
كى نخسى دمه
ونختم السهرات

بلحمه نقتات !

- ٣ -

ماذا تخبىء في حقيبتك العتيقة .. أيها الوجه الصفيق
أشهادة الميلاد ؟

أم صكّ الوفاة ؟

أم التهمة تطرد الأشباح في البيت العتيق ؟

ماذا تخبىء أيها الوجه الصفيق ؟

ماذا تخبىء أيها الوجه الصفيق ؟

(١٩٦٦)

أشياء تحدث في الليل

« إلى صلاح حسين .. »

رخاوة التعاس تغمر المسافرين في قطار الليل .

.. وفي حقول قرية بعيدة

شق السكون — فجأة — عواء ذئب

وانعقد الحليب في الضروع

وانطلق رصاصة :

فكفت الأشياء — بعدها — عن الوجيب ..

هنية ، ثم استعادت نبضها الرتيب ..

وكانت الليلة .. لا تزال مقمرة ا

(كان النشيد الوطني يملأ المذيع منياً بهراج المساء

وكانت الأضواء تنطفى ..

والطرقات تلبس الجوارب السوداء

وتغمر الظلال روح القاهرة .)

والدم كان ساخناً يلوث القضبان

هذا دم الشمس التي ستشرق ، الشمس التي ستغرب ،

الشمس التي تأكلها الديدان !

دمُ القتيل أحمر اللون ،
دم القتيل أخضر الشعاعُ
خيطةٌ عليه تُنثر الدموع .. كى تجفّ في أشعة الصبح
(وكان مبنى الاتحاد صامتاً .. منطفئ الأضواء
تسرى إليه من عبير « هيلتون القريب » ..
أغنية طروب !)

وكان وجهه النحيل مصحفاً عليه يُقسم الجياع
وكانت الذراع ..
فارعة ، كأن محراثاً يشق الأرض !
كانت الذراع ..

ضامرة .. كبذرة القمح
ضامرة كالسنة الأولى التى تنبت فى فم الرضيع !
(وكانت المطابع السوداء تُلقي الصحف .. البيضاء
وصاحبان فى ترام العودة الكسول
يختصمان فى نتائج الكرة .

وفى طريق الهرم الطويل .
تبادلت سيارتان — كادتَا فى الليل أن تصطدما —
السباب !)

وفي الصباح ، والنشيدُ الوطنيُّ يملأُ الأسماعُ
كانَ فَرَّاشُ الحقلِ يبدأُ النشيجَ
وكانت الأصواتُ في القرى .. جنائزيةً الايقاع
ورحلةُ الموالي في الضلوع تفرد القلوع :
« أدهم مقتول على كل المروج »
« أدهم مقتول على الأرض المشاع »
... ..
وكان وجهه النيل مصحفا ..
عليه يقسم الجياع !

العشاء الأخير

بكائية :

أعطني القدرة حتى ابتسم ..
عندما ينغرس الخنجرُ في صدر المَرَح
ويدب الموت ، كالقنفذ ، في ظل الجدار
حاملًا مبخرة الرعب لأحداق الصغار .
أعطني القدرة .. حتى لا أموت .
منهك قلبي من الطرق على كل البيوت
علني في أعين الموتى أرى ظلّ ندم !
فأرى الصمت .. كعصفور صغير
ينقر العينين والقلب ، ويهوى ..
في ثنايا كل فم !

- ١ -

و الرياح هـ اختبأت في القبو ؛ حتى تستريح ..
.. فيه من أرجحة الأجساد فوق المشنقة .

ووقفنا نحرس الباب ، ونحمى الأزقة
 بينا خيلُ الممالك تدق الأرض بالخطو الجموح
 يقتفون الأثر
 يسألون الدرب عن خطوة ريج فيه ، عن أية ريج .
 فنفض البصرا !
 ومضوا ، والسنبكُ المجنون يهوى ، فيصب الشررا
 وتواروا في الحواري الضيقة .
 .. نحن عدنا نحمل البشرى لها
 وهتفنا باسمها
 وهزنا كتفها ، عبثا ..
 وتدلّت رأسها في راحتنا .. مئة !
 نحن كنا نحرس الباب ، ونحمى .. الالفة
 وهي — تعويدُتنا — لم نحمها !

- ٢ -

الخيولُ المسرجة . !
 صهلت ، لكن هل الفرمان فرمانٌ كما كانوا .. غدا ؟
 والمهاميزُ التي تحملها الأقدام .. غاصت في القلوب !
 وسيفٌ ثلعت ..
 فقد استأجرها النخاسُ .. تحمى هودجه !

وسيف قنعت أن تبدل عند الاستعراض .. زينة !
وحمايل ..

حملتها في دهاجى الليل أضلاعُ المقاصل
ودفنا نبلها المقهور في عام البكاء .
.. شبَّحُ الفرسان ما زال على وجه المدينة
صامتاً يأتى إذا جاء المساء
صامتاً ينفذ أطراف الرداء
ويمد الجسدا ..

فيمد الخوف في الليل يدا !
ثم يمضى ، يحمل الأكفان ، يسرى في الدروب
يحمل الأكفان أثواب ركوب !
والمهاميز التى تحملها الأقوام .. غاصت في القلوب !

- ٣ -

التحيات « مساء الموت » ياقلبي
فلا تلق التحية

— من ترى مات ؟

— أنا ..

— أنت !

— أجل .

— أنت لا تملك يوماً أن تموت .

— الحماماتُ لوثُ أعناقها ..

والتوى حتى لسانى بالرُّطانُ

— أنت لا تعرف من أنت ..

— أنا :

منذ أن مات أُنَى ..

كل من تعشقه أُمى الثرىة ..

كل من تعشقه أُمى : أبّ لى فى العمد !

— ربما ، أحس ، ربّته امرأة .

— .. ذَهَبُ الشمس العجوز انصهرا

وهوى فوق نفايات الثرى

وأنا أبكى على تل الرماد !

يفتح المخلّب أجفان العيون

لترى .. لكن تُرى ماذا ترى ؟

(ساعة الحائط فى معبد « هاتور » .. انتهت دقائقها

وانتهت « طروادة » البكر .. على وهم الحصان !)

— .. أنا « أوزوريس » صافحت القمر

كنت ضيفاً ومضيفاً فى الويحه

حين أجلسُ لرأس المائدة

وأحاط الحرسُ الأسود بى

فتطلعت إلى وجه أخى ..
فتفاضت عينه .. مرتعدة !
أنا أوزوريس ، واسيتُ القمر
وتصفحتُ الوجوه ..

وتنبأت بما كان . وما سوف يكون ؟
فكسرتُ الخبز ، حين امتلأت كأسى من الخمر القديمة
قلت : يا اخوة ، هذا جسدى .. فالتهموه
ودمى هذا حلال .. فاجرعه !
خبأ المصباح عينيه .. بأهداب جناحيه ..
لكى تخفى الجريمة

وتثنى الضوء من حدّ الخناجر !
— ربما أحيأك يوماً دمعاً ! ايزيس ! المقدس
غير أنا لم نعد نحب ايزيس جديدة
لم نعد نصفى الى صوت النشيج
ثقلت أذاننا منذ غرقنا فى الضجيج
لم نعد نسمع إلا .. الطلقات !
(يفرض الرعبُ الطمأنينة فى ظل المسدس ..)
— الطمأنينة فى ظل الحداد ؟!
— سيدى .. نحن انزلقنا من ظهور الأمهات
بيد تضغط ثقب الجرح ،

والأخرى على حرف الزناد !

- ٤ -

عندما يبتلع (الكورنيش) أضواء الغروب
تسعل الظلمة فيه والبرودة
يحمل الجوع إلى العار .. وليده
كلمات ..

ثم تنسل من البرد .. لدفع العربات .
والمصاييح : شظايا قمر .. كان يضيء
حطمته قبضة الطاروس فوق الطرقات
ثم أهدته إلى النسوة .. كي يصلبه فوق الصدور .
يتباهين به .. وهو رفات !
كلمات .. كلمات ..

ثم تنسل من البرد لدفع العربات .
وأنا « يوسف » محبوب « زليخا »
عندما جئت إلى قصر العزيز
لم أكن أملك إلا .. قمرا
(قمراً كان لقلبي مدفاة)
ولكم جاهدت كي أخفيه عن أعين الحراس ،

عن كل العيون الصدئة
.. كان في الليل يضيء !
حملوني معه للسجن حتى أطفئه
تركوني جائعاً بضع ليال ..
تركوني جائعاً ..
فترأى القمرُ الشاحب — في كفى — كعكة !
وإلى الآن .. بحلقي ما تزال ..
قطعة من حزنه الأشيب .. تُدميني كشوكة !
• • •

أعطني القدرة حتى أبتسم ..
فشعاع الشمس يهوى كخيوط العنكبوت
والقناديل تموت
قدمي تلمس السلَّمة الأولى لكي أصعد فوقاً
ويدي تلمس الحاجز إذ أخشى السقوط
كيف أبقى ؟
عفن الموتى ؛ وأطياب الحنوط
نكهة تكسو فناء البيت ، تسرى في دمي عرقاً فercاً .
.. منهك قلبي من الظلمة ، إني لا أرى
آه لو لم ألتهمه — القمر الشاحب — لو ..

ربما نُور في الظلمة برهة .
غير أنى كنتُ جائع
وأنا الآن فقدتُ القمر .

... ..

جائع يا قلبى المعروض في سوق الرياء
جائع .. حتى العباء
ما الذى آكله الآن إذن ..
كى لا أموت ؟

(ديسمبر ١٩٦٣)

حديث خاص مع ابي موسى الأشعري

[حاذيت خطو الله ، لا أمامه ، لا خلفه ...]

- ١ -

.. إطار سيارته ملوث بالدم !
سار .. ولم يهتم !!
كنتُ أنا المشاهد الوحيد
لكنني .. فرشتُ فوق الجسد الملقى جريدتي اليومية
وحين أقبل الرجال من بعيد ..
مزقت هذا الرقم المكتوب في ورقة مطوية
وسرْتُ عنهم .. ما فتحتُ الفم !!

ooo

(حاربْتُ في جريهما
وعندما رأيتُ كلاً منهما .. مُتَّهما
خلعتُ كلاً منهما !
كفى يسترد المؤمنون الرأي والبيعة
.. لكنهم لم يدركوا الخدعة !)

ooo

حين دلفتُ داخل المقهى
جرّدتى النادل من ثيابى
جرّدته بنظرة ارتياحٍ
بادلته الكُرْها !

لكننى منحته القرشَ : فزّين الوجها ..
بیسمة .. كليئة .. بلّها ..
ثم رسمت وجهه الجديد .. فوق علية الثقاب !

- ٢ -

رأيتهم ينحدرون فى طريق النهر ..
لكى يشاهدوا عروس النيل — عند الموت — فى جلوعها
الأخيرة

وانخرطوا فى الصلوات والبكاء .
وجئت .. بعد أن تلاشت الفقايعُ ، وعادت الزوارقُ
الصغيرة

رأيتهم فى حلقات البيع والشراء
يقايضون الحزن بالشواء !
.. تقول لى الأسماك
تقول لى عيونها الميتة القريرة :
ان طعامها الأخير .. كان لحماً بشرياً ..

قبل أن تجرفها الشُّبَّاكُ !
يقول لى الماء الحبيسُ فى زجاج الدورق اللُّمَّاعُ
ان كلينا .. يتبادلان الابتلاغُ !
تقول لى تحنيطَةُ التماسح فوق باب المنزل المقابلُ
إنَّ عظامَ طفلةٍ .. كانت فراشَ نومه فى القاع !!

(خلعتُ خاتمى .. وسيدى .
فهل تُرى أحصى لك الشاماتِ فى يدي
لتعرفينى حين تُقبلين فى غدي
وتغسلين جسدى
من رَغَوَاتِ الزَّيْدِ ١٩)

فى ليلةِ الوفاء ..
رأيتها — فيما يرى النائم — مُهْرَةً كسلى
يسرجُها الحوذى فى مركبةِ الكراءِ
يهوى عليها بالسياط ، وهى لا تشكو .. ولا تسير !
وعندما ثرتُ .. وأغلظتُ له القولا ..
دارت برأسها ..
دارت بعينها الجميلتين ..

رأيتُ في العينين : زهرتين
تنتظران قبلةً . من نخلة هيصُ جناحُها .. فلم تُعد تطيرُ !
.. رأيتها — فيما يرى النائم — طفلةً .. حبل !
رأيتها .. ظلا !

وفي الصباح : حينما شاهدتها مشدودةً إلى الشراع
ابْتَسَمْتُ ، وَلَوَّحْتُ لى بالذراع
لكننى : عَثَرْتُ فى سبرى !
رأيتنى .. غيرى !
وعندما نهضتُ : أَلْقَيْتُ عليها نظرةً الوداع
كأننى لم أرها قبلا !
فأطَرَقْتُ خجلى ..
ولم تُقلْ لى رأيتها .. ليلا !

- ٣ -

خرجتُ فى الصباح .. لم أحمل سوى سجائرى
دسستها فى جيب سرقى الرمادية
فهى الوحيدة التى تمنحنى الحب .. بلا مقابل !

رؤيا :

(ويكون عام .. فيه محترف السناهل والضروع
 تنمو حوافرنا — مع اللعنات — من ظمأ وجوع
 يتراحف الأطفال في لعق الثرى !
 ينمو صديذ الضمغ في الأفواه ،
 في هذب العيون .. فلا ترى !
 تتساقط الأقراط من آذان عنراوات مصر !
 ويموت ثدى الأم .. تنهض في الكرى
 تطهو — على نيرانها — التفل الرضيع !!)



حاذيت خطو الله ؛ لا أمامه .. ولا خلفه
 عرفت أن كلمتي أثقة ..
 من أن تنال سيفه أو ذهبه .
 (حين رأث عيناى ما تحت الباب : لم يعد يثرى !)
 قلبت — حيناً — وجهى العملة
 حتى إذا ما انقضت المهلة
 ألقيتها فى البئر .. دون جلبة !
 وهكذا .. فقدت حتى حلمه وغضبه .
 (عيناك : لحظتنا شروق
 أرشف قهوتى الصباحية .. لئلا المحروق

وأقرأ الطالع !
وفي سكون المغرب الوادع
عيناك ، يا حبيبتى ، شجيرتا برقوق
تجلس فى ظلّهما الشمس ، وترفو ثوبها المفتوق
عن فخذها الناصع !)

- ٤ -

.. وستبطين على الجموع
وترفرفين .. فلا تراك عيونهم .. خلف الدموع
تتوقفين على السيوف الواقفة
تسمعين المهمات الواجفة
وسترحلين بلا رجوع !

... ..

ويكون جوع !
ويكون جوع !

(ملوس ١٩٦٧)

من مذكرات المتنبى

(فى مصر)

• • أكره لون الخمر فى القنينة
لكننى أدمتها .. استشفاءا .
لانى منذ أتيت هذه المدينة
وصرت فى القصور بيغاء :
عرفت فيها الداء !

• • أمثل ساعة الضحى بين يدي كافر
ليطمئن قلبه ؛ فما يزال طيره المأسور
لا يترك السجن ولا يطير !
أبصر تلك الشفة المثقوبة
ووجهه المسود ، والرجولة المسلوقة
.. أبكى على العروبة !

• • يومى ؛ يستشدنى : أنشده عن سيفه الشجاع
وسيفه فى غمده .. يأكله الصدا !
وعندما يسقط جفناه الثقيلان ؛ وينكفى .
أسير مثقل الخطى فى ردهات القصر

أبصر أهل مصر ..

ينتظرونه .. ليرفعوا إليه المظلمات والرقاع !

.. جاريتي من حلب ، تسألني « متى نعود ؟ »

قلت : الجنود يملأون نقاط الحدود

ما بيننا وبين سيف الدولة .

قالت : سئمت من مصر ، ومن رخاوة الركود

فقلت : قد سئمتُ — مثلك — القيام والقعود

بين يدي أميرها الأبله .

لعنت كافورا

وغئت مقهورا ..

« خولة » تلك البدوية الشמוש

لقيتها بالقرب من « أريحا »

سريعة ، ثم افترقنا دون أن نبوحا

لكنها كل مساء في خواطري تجوس

يفترُّ بالشوق وبالعتاب ثغرها العبوس

أشم وجهها الصبوحا

أضم صدرها الجموحا !

... ..

سألت عنها القادمين في القوافل

فأخبروني أنها ظلت بسيفها تقاتل ..
 في الليل تجاز الرقيق عن خبائها
 حين أغاروا ، ثم غادروا شقيقها ذبيحا
 والأب عاجزا كسيفا
 واختطفوها ، بينما الجيران يرنون من المنازل
 يرتعدون جسدا وروحا
 لا يجرؤون أن يغيثوا سيفها الطريقا !

... ..

(ساءلني كافور عن حزني
 فقلت إنها تعيش الآن في يزنطة
 شريدة .. كالقطة
 تصيح « كافوراه .. كافوراه .. »
 فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية
 تُجلد كي تصيح « واروماه .. واروماه .. »
 لكي يكون العين بالعين
 والسن بالسن)

• • في الليل ؛ في حضرة كافور ؛ أصابني السأم
 في جلستي نمت .. ولم أتم
 حلمت لحظة بكاء

وجندك الشجعان يهتفون : سيف الدولة .
 وأنت شمس تختفي في هالة الغبار عند الجولة
 منطياً جوادك الأشهب ، شاهراً حسامك الطويل المهلكا
 تصرخ في وجه جنود الروم
 بصيحة الحرب ، فتسقط العيون في الحلقوم !
 تخوض ، لا تبقى لهم إلى النجاة مسلكا
 تهوى ، فلا غير الدماء والبكا
 ثم تعود باسماً .. ومنهكا
 والصبية الصغار يهتفون في حلب :
 « يا منقذ العرب »
 « يا منقذ العرب »
 حين تعود .. باسماً .. ومنهكا
 حلمت لحظة بكاء
 حين غفوت
 لكنني حين صحوث :
 وجدت هذا السيد الرخوا
 تصدر البهوا
 يقص في ندمانة عن سيفه الصارم
 وسيفه في غمده يأكله الصدا !
 وعندما يسقط جفناه الثقيلان ، وينكفي ..

ينسم الخادم .. !
 .. تسألنى جاريتى أن أكرى للبيت حراسا
 فقد طغى اللصوص فى مصر .. بلا رادع
 فقلت : هذا سيفى القاطع
 ضعيه خلف الباب . متراسا !
 (ما حاجتى للسيف مشهورا
 ما دمت قد جاورت كافورا ؟)
 .. « عيدُ بأية حال عدت يا عيدُ ؟
 بما مضى ؟ أم لأرضى فيك نهويد ؟
 « نامت نواطير مصر « عن عساكرها
 وحاربت بدلاً منها الأناشيد !
 ناديت : يا نيل هل تجرى المياه دماً
 لكى تفيض ، ويصحو الأهل إن نودوا ؟
 « عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

(حزيران ١٩٦٨)

تَقْلِيْقُ عَالِي مَا حَدَّثُ

في انتظار السيف ١

ردةً في عروة السرة :

ماذا تلدين الآن ؟

طفلاً .. أم جريمة ؟

م تنوحين على بؤابة القدس القديمة ؟

عادت الخيل من المشرق ،

عاد (الحسن الأعصم) والموت المغير

بالرداء الأرجواني ، وبالوجه اللصوصي ،

وبالسيف الأجير

فانظري تمثاله الواقف في الميدان ..

(يهتز مع الريح . !)

انظري من فرجة الشباك :

أيدي صبية مقطوعة ..

مرفوعة .. فوق السنان

(.. مُردِّفاً زوجته الحُبلى على ظهر الحصان)

أنظري خيطَ الدم القاني على الأرض :

هنا مر .. هنا هـ

فَانْفَقَاتْ تَحْتَ تُحْطَى الْجَنْدِ ..
 عِيُونَ الْمَاءِ ،
 وَاسْتَلَقْتُ عَلَى التَّرْبَةِ .. قَامَاتُ السَّنَابِلِ .
 آه .. هَا نَحْنُ جِيَاعُ الْأَرْضِ نَصْطَفُ ..
 لَكِي يُلْقَى لَنَا عَهْدُ الْأَمَانِ .
 يَنْقُشُ السَّكَّةَ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْغَالِبِ ،
 يُلْقَى خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْغَالِبِ ،
 يَرْقُ مِنْبَرُ الْمَسْجِدِ ..
 بِالسَّيْفِ الَّذِي يَبْقُرُ أَحْشَاءَ الْحَوَامِلِ .

• • •

تَلْدِينُ الْآنَ مَنْ يَحْبُو ..
 فَلَا تَسْنَدُهُ الْأَيْدَى ،
 وَمَنْ يَمْشِي .. فَلَا يَرْفَعُ عَيْنِيهِ إِلَى النَّاسِ ،
 وَمَنْ يَخْطِفُهُ النَّخَاسُ :
 قَدْ يَصْبَحُ مَمْلُوكًا يُلُوطُونَ بِهِ فِي الْقَصْرِ ،
 يُلْقَوْنَ بِهِ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ ..
 لِقَاءَ النَّصْرِ ،

هذا قدرُ المهزوم :
لا أرضَ .. ولا مال .
ولا بيتَ يردُّ البابَ فيه ..
دون أن يطرقه جابٍ ..
وجندى رأى زوجته الحسناء في البيت المقابل
أنظري أمّك الأولى العظيمة
أصبحت : شردمةً من جثث القتلى ،
وشحاذين يستجدون عطفَ السيف ،
والمال الذى ينثره الغازى ..
فنهوى ما تبقى من رجال ..
وأرومة .
أنظري ..

لا تفرعى من جرعة الخزي ،
انظري ..

حتى تقيى ما بأحشائك ..
من دفء الأمومة .

• • •

تقفُ الأسواقُ يومين ..
وتعتاد على « النقد » الجديد

تشتكى الأضلاعُ يومين ..
وتعتاد على السوط الجديد
يسكت المذياعُ يومين ..
ويعتاد على الصوت الجديد
وأنا منتظرٌ .. جنب فراشك
جالسٌ أرقب في خمي ارتعاشك —
صرخةَ الطفل الذي يفتح عينيه ..
على مرأى الجنود !

(يوليو ١٩٧٠)

فقرات من كتاب الموت

- ١ -

كُلُّ صباح ..
أفتح الصنورَ في إرهابٍ
مختلاً في مائه الرقراقِ
فيسقط الماءُ على يدي .. دَمًا !

... ..

وعندما ..
نُجلس للطعام .. مُرغما :
نُهر في دوائر الأطباقِ
جماجا ..
جماجا ..

مفغورة الأفواه والأحداق !!

- ٢ -

أحفظ رأسي في الخزائن الحديدية

وعندما أبدأ رحلتى النهارية
أحمل فى مكانها .. مذبعا
(أنشر حولى البيانات الحماسية .. والصداع)
وبعد أن أعود فى ختام جولتى المسائية
أحمل فى مكان رأسى الحقيقة :
.. قنينة الخمر الزجاجية !

- ٣ -

أعود مخموراً إلى بيتى ..
فى الليل الأخير
يوقفنى الشرطى فى الشارع .. للشبهة
يوقفنى .. برهة !
وبعد أن أرشوه .. أواصل المسير !
... ..
توقفنى المرأة ..
فى استنادها المثير
على عمود الضوء :
(كانت مصلقات الفئج ، و ، الجبهة ،
تملاً خلف ظهرها العمودا !)

تسألنى لفافة :

(لم يترك الشرطى ..
واحدة من تبغها اللبلى
تسألنى إن كنتُ أمضى ليلتى .. وحيدا
وعندما أرفع وجهى نحوها ::
سعيدا

أبصر خلف ظهرها : شهيدا
معلقا على الحائط ، ناصع الجبهة
تغوص عيناه .. كتصليين رصاصيين
أصرخُ من رهافة الحدين
.. أمضى بلا وجهة !!

- ٤ -

فاجأني الخريفُ فى نيسان
وطائرُ السَّمان ..
حطَّ على شواطئ البحر الشماليّة
طلبتُ من تحبّه نفسى .. قبيل النوم
ظم أجذ .. إلا عذاب الصوم

طلبتُ من تحبُّ نفسي

(في الظلِّ والشمس)

فلم أجد .. نفسي !!

... ..

وها أنا خلف النوافذ الزجاجية

أرقبُ عند المغرب الشاحب :

طائري الغائب !

(١٩٦٩)

الحداد يليق بقطر الندى

جوقة :

قَطْرُ الندى .. يا خال
مُهَرَّ بلا خِيَال

... ..

قَطْرُ الندى .. يا عين
أُميرةُ الوجهين

.. ..

صوت :

كان (خماروبه) راقداً على بحيرة الزئبق
وكانت المغنيات والبنات الحور
بطآن فوق المسلك والكافور .
والفقراء وال دراويش أمام قصره المغلق
ينتظرون الذهب المبدور
ينتظرون حفنة صغيرة .. من ثور .

جوقة :

قطر الندى .. يا عين
أميرة، الوجهين

..

قطر الندى ..

قطر الندى ..

صوت:

هودجها يخرقُ الصخراء
تسبقه الأنباء .

أمامها الفرسانُ ألف ألف
وخلفها الخصيانُ ألف ألف
تعب في سيناء ..

جوقة :

قطر الندى .. يا ليل
تسقط تحت الخيل

..

قطر الندى .. يا مصر
قطر الندى في الأسر

..

(استمرار):

تعبير في سيناء
تعبير في مضارب البَنُو ، وفي نضوبِ الماء
عند انتصاف الصيف .
تحلم بالوصول للأردن ..
ترخي أعتة الخيول حول مائه ..
تفسل وجه الحزن

جوقة :

قطر الندى .. يا مصر
قطر الندى في الأسر
قطر الندى ..

قطر الندى ..

الصوت والجوقة :

.. كان (حمارويه) راقداً على بحيرة الزئبق
في نومة القبلولة .

فمن ترى ينقذ هذه الأميرة المغلولة ؟
من يا ترى ينقذها ؟

من يَأْثُرِي يَنْقُذُهَا ؟
بِالسَّيْفِ ..
أَوْ .. بِالْحِيلَةِ ؟ !
.

(١٩٦٩)

صفحات من كتاب الصيف والشتاء

١ - حمامة

حين سَرَتْ في الشارع الضوضاء
واندفعت سيارة مجنونة السائق
تطلق صوت بوقها الزاعق
في كبد الأشياء :
تَفَزَّعَتْ حمامة بيضاء
(كانت على تمثال نهضة مصر ..
تحلُم في استرخاء)

..

طارث ، وحطت فوق قبة الجامعة النحاس
لاهتة ، تلتقط الأنفاس
وفجأة : دندنت الساعة
ودقت الأجراس
فحلقت في الأفق .. مُرتاعة !

..

أيتها الحمامةُ التي استقرتُ
 فوق رأسِ الجسرِ
 (وعندما أدار شُرطىَّ المرورِ يَدَهُ ..
 ظنته ناطوراً .. يصدُّ الطيرُ
 فامتلاّت رعباً)
 أيتها الحمامةُ التغيى :
 تُورى على قباب هذه المدينةِ الحزينّةِ
 وأنشدى للموتِ فيها .. والأسى .. والذعرُ
 حتى نرى عند قدومِ الفجرِ
 جناحَكَ المُلقى ..
 على قاعدةِ التمثالِ فى المدينةِ
 .. وتعرفين راحةَ السكينةِ !

٢ - ساق صناعية

فى الفندقِ الذى نزلتُ فيه قبلَ عامٍ
 شاركنى الغرفةُ
 فأغلق الشرفةَ
 وعَلَقَ (السِتْرَةَ) فوق المشجبِ المُقامِ

وعندما رأى كتابَ (الحرب والسلام)
بين يدي : اربد وجهه ..

ورف جفنه .. رفة

فغالب الرجفة

وقصَّ عن صبيّة طارحها الغراء

وكان عائداً من الحرب .. بلا وسام

فلم تُطِقْ .. ضغفة

ولم يجذ — حين صحا — إلا بقايا الخمر والطعام !

..

ثم روى حكاية عن الدم الحرام

(.. الصحراء لم تُطِقْ رشفة ..

فظلّ فيها ، يشتكى رسعه صيفة ..)

وظلّ يروى القصص الحزينة الختام

حتى تلاشى وجهه

في سحب الدخان والكلام

وعندما تشرج الصوت به ، وطالت الوقفة

أدرث رأسي عنه ..

حتى لا أرى دمعته العفة

ومن خلاها جسدي : تفصّد الجزن ..

وبلّل المسام

..

وحين ظنّ أنني أنام
رأيتُه يخلع ساقه الصناعية في الظلام
مُصعّداً تنبّدهً ..
قد أحرقتْ جوفهُ

٣ - شتاء عاصف

كان (ترام الرّمْل) ..
مُتّبعجاً ، كامراًة في أُخرياتِ الحَمْلِ
وكنْتُ عني السّارعُ
أرى شتاءً (الغضبِ الساطعِ)
يمكّسح الأوراقَ والمعاطفا
وكانت الأحجارُ في سكونها الناصعِ
مغسولةً بالمطرِ الذي توقّفا
وكان في المذباغِ
أغنيةً حزينةً الإيقاعِ
عن (ظالمٍ لاقبْتُ منه ما كفى ..)
قد (علّموه كيف يحفّو .. فجفا)

جلستُ فوق الشاطئء اليابس
وكان موجُ البحر
يصفع خدَّ الصخر
وينطوى — حيناً — أمام وجهه العابس .
.. وترجعُ الأمواج
تنطحه برأسها المُهتاج
ودون أن تُكفَّ عن صراعها اليائس .. !
ودون أن تُكفَّ عن صراعها اليائس .. !

ملرس ١٩٦٩

تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات

- ١ -

قلتُ لكم مرارا
إن الطوايرَ التي تمرُّ ..
في استعراض عيد الفطر والجلاء .
(فتهتف النساءُ في النواقد انبهارا)
لا تصنع انتصارا .
إن المدافع التي تصطف على الحدود ، في الصحارى
لا تطلق النيرانَ .. إلا حين تستدير للوراء .
إن الرصاصَ التي تدفع فيها .. ثمنَ الكسرة والدواء :
لا تقتل الأعداء
لكنها تقتلنا .. إذا رفعنا صوتنا جهارا
تقتلنا ، وتقتل الصغار !

- ٢ -

قلتُ لكم في السنة البعيدة

عن تُحَطِّرُ الجندى
 عن قلبه الأعمى ، وعن همته القعيدة
 يحرس مَنْ يَمْنَحُهُ راتبه الشهرى
 وزية الرسمى
 ليرهبَ الخصومُ بالجمعية الجوفاءِ
 والقعدة الشديدة
 لكنه .. إن يَجِنُ الموتُ ..
 فداء الوطن المقهور والعقيدة :
 فرُّ من الميدانِ
 وحاصرَ السلطانِ
 واغتصبَ الكرسيَّ
 وأعلنَ ، الثورة ، فى المذيع والجريدة !

- ٣ -

قلتُ لكم كثيرا
 إن كان لابد من هذه الذرية اللعينة
 فليسكنوا الخنادق الحصينة
 (متخذين من مخافر الحدود .. دورا)
 لو دخل الواحدُ منهم هذه المدينة :

يدخلها .. حسيماً
يلقى سلاحه .. على أبوابها الأمانة
لأنه .. لا يستقيم مَرَحُ الطفل ..
وحكمة الأب الرزينة
مع المُسدّس المدلّى من حزام الخصر ..
في السُّوق ..
وفي مجالس الشورى

• • •

قلتُ لكم ..
لكنكم ..
لم تسمعوا هذا العبثُ
ففاضت النارُ على الخيّمات
وفاضت .. الجثث !
وفاضت الخُوداتُ والمدرّعاتُ

(سبتمبر ١٩٧٠)

فتح المذباغ .. واستلقى !
وكان القدح الساخن ..
في وحدته المستفرقة .
(.. يدخل الطيف الذي يهبط .. بفتة
يسكت المذباغ .. سكتة ...)
- (موجز الانباء) ..

.. ألفت يده السيجارة المحترقة
صرت النافذة المنغلقة

..

(.. يعبر الغرفة :

فوق الحائط الأزرق .. صورة
ظل يجلو تحتها خنجره .. مبتسما)

..

مد ساقه ،

وكان الرعب في عينيه ..

صار الصوتُ والموتُ
عدواً واحداً
منقسماً !

• • •

ظل في مقعده ..
سار الترام
وهو في مقعده ..
كلتُ يدا بائعة الخبز الصغيرة
وهو في مقعده ..
كف فحيح الصمت في المذياع ،
وانساب « السلام »
وهو في مقعده ..
— (موجز أنباء الصباح)
وهو في مقعده ..
..
في يده سيجارة ملتصقة
وعلى الجائط .. صورة ١١

- من ذلك الهائم في البرية ؟
- ينام تحت الشجر الملتف والقناطر الخيرية ؟
- مولاي : هذا النيل ..
- نيلنا القديم !
- أين ترى يعمل .. أو يقيم ؟
- مولاي :
- كنا صبيّة نندس في ثيابه الصيفية
- فكيف لا نذكره ؟
- وهو الذي يُذكر في المذبايح والقصائد الشعرية ؟
- هل كان قائدا ؟
- مولاي : ليس قائداً .
- لكننا السياح في مطالع الأعوام
- يأتون كي يروه ..
- آه .. ويصوّرونه لكي يُشهرُوا بنا
- بوجهه الباكي .. وكوفيته القطنية
- .. تعال كي نودعه في ملجأ الأيتام .
- مولاي :
- هكذا تحبه الصبايا .. والرعاة .. والأغنام

وأُم كلثوم تغنى له ..
في وَصَلَتِهَا الشَّهْرِيَّة !

— النِيل !

أَيْنَ يَا تُرَى سَمِعْتُ عَنْهُ قَبْلَ الْيَوْمِ ؟ !
أَلَيْسَ ذَلِكَ الَّذِي ..

كَانَ يَضَاجَعُ الْعِذَارَى ؟ !

وَيَحِبُّ الدَّمَ ؟ !

— مَوْلَايَ : قَدْ تَسَاقَطَتِ أَسْنَانُهُ فِي الْفَمِ

وَلَمْ يَعْذُ يَقْوَى عَلَى الْحَبِّ .. أَوِ الْقُرُوسِيَّةِ

— لَا بَدَّ أَنْ يَبْرَزَ لِي أَوْرَاقُهُ الشَّخْصِيَّةِ

فَهُوَ صَمُوت !

يَصَادِقُ الرَّعَاغَ ..

يَهْطُ الْقُرَى ..

وَيَدْخُلُ الْبُيُوتَ ..

وَيَحْمِلُ الْعِشَاقَ فِي الزَّوَارِقِ اللَّيْلِيَّةِ

— مَوْلَايَ ؟ هَذَا النِّيلُ .. !!

— لَا شَأْنَ لِي بِتَيْلِكَ الْمُشْرِدِ الْمَجْهُولِ

أُرِيدُ أَنْ يَبْرَزَ لِي أَوْرَاقُهُ الرَّسْمِيَّةِ :

شهادة الميلاد .. والتطعيم .. والتأجيل
والموطن الأصلي .. والجنسية
.. حتى يمارس الحرية !

- ٣ -

.. ويلقى المعلمُ مقطوعةَ الدرس ،
في نصف ساعة :

(ستبقى السنابل ..
وتبقى البلابل ..
تغرّد في أرضنا .. في وداعة ..)
ويكتب كل الصغارِ بصدق وطاعة :
(ستبقى القنابل ..
وتبقى الرسائل ..
تُبلّغها أهلنا .. في بريد الإذاعة)

(١٩٧٠)

الوقوف على قدم واحدة !

كادت تقولُ لي ، مَنْ أَنْتَ ؟ ،

..

(.. العقربُ الأسودُ كان يلدغُ الشمسَ ..

وعيناها الشَّهْتَانِ تلمعان !)

— أَنْتَ ؟ !

لكنِّي رددتُ بابَ وجهي .. واستكنْتُ

(.. عرفتُ أَنَّها ..

تنسى حزامَ خصرها .

في العرابِ الفارحة !

• • •

أسقطُ في أنيابِ اللحظاتِ الدنسةُ

أتشأغلُ بالرشفةِ من كُوبِ الصمتِ المكسورِ

بمطاردةِ قرَّاشِ الوهمِ المخمورِ

أتلاشي في الخيطِ الواهنِ :

بها بين شُرُوعِ الخنجيرِ .. والرقبةِ

ما بين القدمِ العاريةِ وبين الصحراءِ الملتهبةِ

ما بين الطفل .. والعصفور أ

• • •

يهتز قرطها الطويل ..

يراقص ارتعاش ظله ..

على ثلقات العنق الجميل

وعندما تلفظ بذر الفاكهة

وتطفئ التبغ في المنفضة العتيقة الطراز

تقول عيناها : استرح !

والشفتان .. شوكتان !!

• • •

(تبقي أنت : شبحاً يفصل بين الأخوين

وعندما يفور كأس الجعة المملوء ..

في يد الكبير :

يقتلك المقتول مرتين !

أتأذنين لي بمعطفي

أخفي به ..

عورة هذا القبر الغارق في البحيرة

عورة هذا المتسول الأمر

وهو يحاورُ الظلالَ من شُجيرةٍ إلى شجيرة
يطالعُ الكفَّ لعصفورٍ مُكسَّرٍ الساقين
يلقطُ حَبَّةَ العَيْنين
لأنه صَدَّقَ — ذاتَ ليلةٍ مَضَتْ —
عطاءَ فمكِ الصغيرِ ..
عطاءَ حُلْمكِ القصيرِ ..

جلستنا الأولى : وعيناك المليثان بالفضول ..
تفتشان عن بداية الحديث ،
وابتسامة خجول ..
في شفتيك العذبتين ، وارتباكنا يطول ..
و لحظات الصمت والظما .
غرث فوق مسند المقعد
قلت ما يقال عن رداة الطقس ،
تسرت عيناى فى استدارة الياقة
فى معطفك الجميل .
وكان صوتك المغنى يتحسس الطريق فى شرايينى ،
ويمسح الصدا
و كنت ألوى فى رباط عنقى ،
أرثت ظهر قلقي ،
أصبح خبط العرق الضمحل .
نهر : شرخا فى زجاج الباب ،

بوم الزخرف المنقوش في مفارش الموائد ،
الوردة .. وهي تنحنى في الكوب ..
شفها الذبول .

..

ليلتها : عيناك هاتان المليتان بالفضول
طاردتان لحظةً بلحظةً ..

في دوران السلم الطويل
وفي سريري ظلتا تغنيان آخر الليل
وحين ضاق الصدر بالحنين .. وامتلاً
رفرفتا حولي

فقلت .. قلت لهما كل الذي أردت أن أقول ..

• • •

(.. كنا جارين طويلاً

وخليج عيون خضر ترسو فيه

أشعره الشوق

قلبي ما كاد يشبُّ عن الطوق

حتى أبخر في عينيها الواسعتين ..

برحلته الأولى

.. لكنني أشهدا - الليلة - تنكبى عليه ..

كما كانت تنكس على علي
شيك في إصبعها خائمه الذهبي
تغر على جيبته بأناملها الرخصة .

.. ..

تهجرني الأحزان ؟
يخطأ أشهد فانتى تستدق ..
في أحضان القرصان ؟

- ٢ -

قع وجهك المضيء .. يا رباب
ن مستطيل النور عندما يشع ..
في انفراج باب

== زهج اللغافة الأخيرة

== نعة المنافض المزوقة

== لمسات اللوحة المعلقة

== فورة الفرائش في السقف ،

ولي انغلاق الكتاب

== فوهان الثلج في الأكواب

في رئة الملاعق الصغيرة
في صمته المذباغ برهة قصيرة
في ثنيات الظل في الثياب
في غبش النوافذ الصامت ..
بعد أن ينقشع الضباب .

• • •

(.. بالريح المقهورة
بالأمكنة المهجورة
بسنى الحب الغارب
بالقمر الشاحب
وبأعوامى الستة عشر
وبمخصلة شقر :
أقسم ألا يسقط قلبى في ..
شرك الهذب الأسود .
ألا أفتح — يوماً هذا الباب الموصد !)
- ٣ -

كيف ضعفتُ في نهاية المطاف ؟

وارنحت في عينيك من عبثي ؟
وكل شيء حولنا يُنملي علينا أن نخاف ؟!
.. لكنتى أنزع قلبي من نعومة البدء
ومن ليونة الدفء ..
وأحتمي — كالسلاحفة — بالفلاف !!

فصل من قصة حب

لها حقيقة مدلّاة ، وشعر غجّرى !
(عرفتُ عنها القصص الكثيرة :
على أريكة القطار ..
ضاجعها اثنان ،
وخلف سائر الفارات في الميدان .. في الظهيرة .
.. وضاجعَتها امرأة على البلاج الذهبي
وجسمها الخارج من محارة البحر ..
مُنْدَى بالألّاء الصغيرة !)

• • •

حين التقينا : لم تسَلْ من أنت ..
أو من أين ؟!
وقبلتني خلصةً ونحن في المترو ..

مُحاصِرُنن .. واقفين !
وقبلتى وأنا أخرج مفتاحى ..
أمام غرفتى الفقيرة !
وقبلتى .. حالما أغلقت الباب وراء ظهرها ..
لامعة العينين !!

• • •

لا نهذا (الجمأة التى هم بانطلاقها)
ولا انحسار الثوب فوق ساقها
هو الذى حاصرتنى فى الجسد — الجزيرة .
لكنه .. شئ بها .. كأنه الينم ..
كأنه الفراز ..

بنوب ما بين ذراعى : فهدأ السريرة
وتلتوى الأنامل البيضاء حول كَتفى ..
كأنما نحن : الفريق .. والحطام الخشبي !
تمسك لى ..

فى لحظة احتراقها ..
فى لحظة التخلّى عن عناقها !
تمسك لى ..

حتى مع استرخاء النوم القصيرة

إذا انفلتُ من يديها

وهي في استغراقها ١١

وصار بيني بيتنا معاً ، وصار ..
أرجوحة وثيرة .

وصارت الألفة ثوباً واحداً

نلبسه تحت جلودنا

فلا يلى ..

ولا يلحقه الغبار !

عارية — إلا من الحب — تروح وتجيء

بأبى غناؤها بصوتها الدافئ

وهي ترش الماء في الحمام ،

أو .. جالسة على الأريكة الأثيرية

وهي تُسَوِّى شعرها ،

أو .. وهي عند النار

تُعد فيها قهوة الإفطار

أو .. تمنح الرونق للأشياء

في لمستها الخبيرة

تكوى المناديل الحريئة .. والتثورة

أو تمسح الغبار حول صورة !

وها أنا بعد رحيلها المفاجيء
أعمى بلا بصيرة .
فتشتُ عنها كل حانات المدينة الكبيرة
وغرف الطلاب ..
والمستشفيات ..
والملاجيء ..
لكننى لم أر غير الوحشة المريرة
وذكرياتها المشورة
فى البيت ، فى مكانها ..
تنتظر اليد الأميرة
تنتظر الخيط .. الذى ينظم الآلىء .

• • •

— كأسك !
— حان موعد الاغلاق .
— لم تبق الا قفظة أخيرة .
— كأسك !
.. لن تعيدها الأشواق !!

الهجرة الى الداخل

أترك كل شيء في مكانه :
الكتاب ، والقنبلة الموقوتة
وقدح القهوة ساخناً ،
وصيدلية المنزل ،
واسطوانة الغناء .
وباب مغفور الفم ،
.. الباب .. وعين القطعة الياقوتة .
أترك كل شيء في مكانه ،
وأعبر الشوارع الضوضاء
مخلفاً خلفي : زحام السوق ..
والنافورة الحمراء ..
والهياكل الصخرية المنحوتة
أخرج للصحراء !
أصبح كلباً دامي المخالب
أنبش حتى أجذ الجثة ،

حتى أقضم الموت الذى يدس الترائب !
 أدمُ فى الحفرة وجهى الشرة المحموم
 تصبح بوقاً مصمتاً حول فمى المنكفىء المزموم
 وصارخاً فى رحم الأرض ..
 أصبح : يا بساطَ البلد المهزوم ..
 لا تسحب من تحت أقدامى ..
 فسقط الأشياء ..
 من رفها الساكن فى خزانة التاريخ ،
 تسقط المسميات والأسماء !
 أصرخ .. ليس يحمل الصوت
 أصرخ .. لا يجيب إلا عرق التربة والسكون والموت
 ويستدير حول رأسى الطنين ،
 ويدوم الهواء
 أسقط واقفاً ..
 وخائفاً .
 أن يحمل الصدى ندائى للهوائيات ..
 فوق أسطح البيوت
 أن تفتش الرمال صوتى المضىء ،

صوتى المكبوت ا
أبكى إلى أن يستدير الدمع في الحفرة
أبكى .. إلى أن تهدأ الثورة
أبكى إلى أن ترسخ الحروف في ذاكرة التراب
أعود ضالاً ..

أتبع الأسلاك ، والدم الركام ،

والدم المنساب

أبحث عن مدينتى التى هجرتها ..

فلا أراها ا

أبحث عن مدينتى :

يا إرم العماذ

يا إرم العماذ

يا بلد الأوغاد والأعماذ

رُدِّى إلى : صفحة الكتاب

وقدح القهوة .. واضطجعتى الحميمه

فيرجع الصدى ..

كأنه اسطوانة قديمة :

يا إرم العماذ

يا إرم العماذ

رُدِّي إليه : صهوة الجواذ
وَكُتِبَ السحر ..
وبعضَ الخبزِ في زوادة السفر
فقلبه الذي انشطر
يرقد فوق زهرة اللوتس في المنفى ،
يطالع المكتوب
منتظراً حتى يفوزَ الكوب
في يده ،

يدير فوق جسمه ردائه المقلوب
لكي يعود في مواسم الحصاد
أغنية .. أو وَرْدَةٌ
للباحثين عن طريق العودة !

حكاية المدينة الفضية

- ٩ -

كنتُ لا أحمل إلا قلماً بين ضلوعى .

كنت لا أحمل إلا .. قلمى .

فى يدى : خمسُ مرايا

تمكس الضوء (الذى يسرى إليها من دمي)

.. طارقاً بابَ المدينة :

— « افتحوا الباب »

فما ردَّ الحرسُ

— « افتحوا الباب .. أنا أطلب ظلاً .. »

قبل : « كلاً »

..

أمطرى ما قبضة الزيد التى تُدهى سُحبُ

أمطرى رغو تلك الجوفاء فى كوب اللهب

هذه الأسوار ما رقتُ لدقالي الحزينة

وشعاعُ القبة الفضية الملساء يغل ..

فى مراياى الثمينة

آه لو أملك سيفاً للصراع
آه لو أملك خمسين ذراع :
لتسلمت — بإيماني الهرقلي — مفاتيح المدينة
آه .. لكنى بلا حتى .. مؤونة !

• • •

أيها العشب الذى ينضج حُمى
لأننى أنشدُ فى جنبيك .. حلما
(.. واستكانت شفة الوهج على وجهى طويلا ..)
ربما يُفتح هذا الباب يوما
أيها العشب الذى ينضج حُمى
همسنا مطفأة العينين .. دوما !
يا طريق التلّ (حيث القبة الملساء تبدو ..
صنماً ضخماً تحدى المستحيلا)
يا طريق التلّ :
ما زالت على جنبيك آلاف النفايات ..
لسكان القباب المصمتة
من قمامات البقايا الميتة

وزجاجات مملوءة فارغة
 وكلايب والغنة
 ورماد ، وورق !
 آه .. يا ذكرى الحنين المحترق
 آه ، كم كنّا — كما كنت — نرثُ النورَ والشوق النيبلا
 وتمدجنا غناء ..
 وتمدجنا بكاء ..
 وتمدجنا .. فضُولا
 ثم .. لم نلقَ من الحبِّ عدا : باهاً بخيلا !!

- ٢ -

فرقعتُ في الصمت حول عجلات المركبة
 — « أوقف الخيل »
 أطلت :
 — « من تُرى أنت ؟ »
 فأومأتُ مجيباً
 قالت : « اصعد »

— « آهِ يا ذَاتَ الْعِیُونَ الطَّیْبَةِ
كُلُّ شَیْءٍ یَتَهَذُّ
كُلُّ شَیْءٍ فِی دَمِی .. لَا یَتَحَدَّدُ
أَنَا لَا أَمْلِكُ حَتَّى كَلِمَاتِ الشُّكْرِ ..
حَتَّى كَلِمَاتِ الشُّكْرِ .. وَلَتْ !
— « أَغْرِیْبٌ ؟ »

قُلْتُ : مَا عَدْتُ غَرِیْبًا
بِیْتِنَا كَانَ عَلَی رِیوَةِ نَجْمَةٍ
كَمْ قَرَأْنَا فِیهِ عَنِ سِحْرِ لِبَالِیكُ كَثِیرًا
عَنِ جَبِینِ یَهَبِ الْعَمْرِ تَنَاهِیْدَ وَرَحْمَةٍ
وَرَسْمَنَا وَجْهَکَ الْمَعْبُودَ فَوْقَ الْمَنْزِلِ
وَعَلَی صَدْرِ الرِّیْعِ الْمَقْبِلِ
وَتَعَشَّقْنَاكِ : حَزْنَا أَرْجَوَانِیَا أَمْرًا
وَتَعَشَّقْنَاكِ : شَعْرًا كَسْتَنَائِیَا غَزِیرًا
وَتَعَشَّقْنَاكِ : ثَوْبًا جَدَلَهُ الْحَوْرُ ..
مِنْ زَهْوِ الْمَطَرِ
وَعَشَقْنَا فِیْكَ : حَتَّى تُحْفَلَ الْمَجْلُوبَ مِنْ وَادِی الْقَمَرِ !
قَالَتْ : « أَهْدَأُ ..
سَوْفَ تَحْكِی لِی هُنَاكَ .. »

وأشارت نحو قصر القبة الملساء ،
ثم استطرذت :

إنه مُلكُ أُمِّي ، !

عندما كان (سليمان) ولياً
لم يكن يملك هذا القصرَ ذا المليون بابٍ
قبل مكتوبٍ على جدرانهِ الماسية الزرقاء ..
أحلامُ شبابٍ

قبل في الساحةِ نافورةٌ خلدُ
وعلى البابِ نقوشٌ أثريةٌ .
آه .. يا حراسه .. هذا أنا !!
إرفعوا الأيدي وأدوا لي التحيةَ
ارفعوا المزلاجَ .. فالركبُ يسيرُ
« يد مولائي » ..

ومدت يها (بدرُ البلور)
نصعد السلمَ : يا معراجُ ما كنتُ نبياً !
أنا في البللور حولي في السنا : أَلْفُ أنا
فامض يا معراجنا نحو الجنّاتِ
واعزفي يا جوقةَ الميلاذِ لحنَ الإفتاحِ !

• • •

سكرت كاساتنا من خمر بابل
 ألف خيط في دمانا .. يستبد
 — « آه يا سيدتي : أنتِ مَلِكٌ ..
 أنا لأحمل إلا قلناً بين ضلوعى ..
 فخذيه .. إنه أئمن ما عندى .. خذيه »
 ومشت راحتها فوق جبيني ،
 هتف لى : « شهریار »
 — « شهرزادى : أسكى شَهْدَ الرحيق المتواصل
 ثم قُصِّ من حكاياكِ الجديدة
 من زمانٍ لم أعد أسمع أشياء جديدة

 — « لبيك يا مولائى .. قالوا

 ثم لم نملك قُوانا
 على الجدران لوحات فريدة
 لرغيف .. وزجاجات من الخمر .. وراع ..
 ، قطع ا
 (آو .. ما أقسى الجدار
 عندما ينهر في وجه الشروق ا

ربما تُنفق كلّ العمرِ كي تنقب ثغرة
ليمرّ النورُ للأجيال .. مرةً !

..

ربما لو لم يكن هذا الجدارُ :
ما عرفنا قيمةَ الضوءِ الطليق !!)

- ٣ -

شَفَّةٌ ثَلْجِيَّةٌ في جبهتي تسرى .. مُلْحَةٌ

« قد أتى الصبحُ ... فَقُم »

شدني السيفُ من أشهى حُلُم

حاملًا أمرَ الأميرة

— « أنا يا مسرورُ معشوقُ الأميرة

ليلةً واحدةً تُقضى .. بَدَمٌ !؟

يا ترى من كان فينا شهریار ؟!

أنا يا مسرورُ .. »

(مسرورُ على الباب : رخام)

— « أنا يا مسرورُ لم أسعد من الدنيا بفرحة

أنا لم أبلغ سوى عشرينَ عام

خذ ثيابی .. خذ مراياى المنيرة .. »
— « حسناً ، فاهرب من الباب الذى فى آخر المشى

ولا ترجع هنا »

يا طريق التلّ حيث القبة الملساء .. خلفى
حيث مازالت على جنبك آلاف النفایات ..
لسكان المدينة :

الكلابُ الوالغة ..

وزجاجاتُ الخمر الفارغة ..

وأنا .. أحمل أقدامى الحزينة !!

الضحك في دقيقة الحداد !

.. ووقفنا في العراء
ببقايا أغمدة .
انتظرنا ان يمرُّ الشعراء
ربما يمنحنا دفء الغناء
ربما .. ليلة حب واحدة .
وتنصت لوقع الخطو ، غربلنا الهواء
لم يكن إلا .. سكون الصحراء
وطنين الأقدمة !

. . .

عامٌ تحت الصنبر .. صفّر اليَد جاء
حين كنا في ضمير النبل روحاً مجهدة .
طرق الباب ، ونادى في حياء

فاستدرنا في فراش النوم ،
أحكمتنا الغطاء
وتركناه لهبات الرياح الباردة .

• • •

كنتُ في المقهى ، وكان البيّغاء
يقرأ الأنباء في خزان حقل القمح ،
فوق القرْدَة
وهي تجترّ النراجيل ، وترنو للنساء .

..

(— رفع أثمان جميع الأسمدة)

..

.. النساء القطط — الأفراس — سِمَانُ العشاء
وعيون الرغبة الفئران تبتل بأصداء المواء .

..

(— رفع سعر الصوف ..)

.. .. ما من فائدة !

كادت السيارة الحمراء أن تقصم ظهر السيدة
والنساء — القطط — الأزياء يخلعن الرداء

.. .. .

(— نائِرٌ يَقْتُلُ في طهرانَ بالأمس — رئيسَ الوزراء)

.. .. .

رقعة الشطرنج : مات الشاه ، دورُ الأبتداء ..
هزم الأبيضُ فيه أسودَه
حين كنّا في ضمير الليل روحاً مجهدة .

.. .. .

تلعقُ الفئرانُ في الجُحر ترابَ الإشتهاء
وهي تجترُّ التراجيل ، وترنو للنساء
النساء — القطط الكسلى ،

.. .. .

.. .. (اشتباكٌ عسكريٌّ في المساء)
برهة : ترتفعُ الأعينُ عن طاولة الزهر وموسيقى النساء
تبرقُ النظرة من تحت الجفون الخامدة

.. .. .

(مجلسُ الأمنِ يُوالى ..)

.. .. . ويعود الإغناء

تجلس العينُ على نقش البلاط القرفصاءُ
ثم تنساه ، وتطويها فنون العريضة !!
قال لى :

« ما هو بهو الأعمدة »

..

من هنا مرّت خيولُ الخيلاء
من هنا مرّت .. فلم يُدفن لها قتلى ،
ولم تُحقن دماء .

حطّت الحدأةُ فوق المائدة
رفع السرُّ عن الشمس . يَدَه
فهوّت ، والأرضُ غطّاها الوباء .

..

نقشةُ الجدرانِ فى قلبي ،
وفى عيني الرمالُ الراقدةُ
الرمالُ الراضاتُ — اليومَ — من حول البناء
الرمالُ — الندمُ الحارقُ لى خبزِ وماء .
بما بقايا المومياء :
نحن أسبلنا العيونَ الرميّةُ
حين أنكرناكِ قبل الفجرِ ..

(والفجرُ إلى اللحظة لم يأتِ ،)

وجاء ..

بدلاً منه : الوباء ،

كلما استشرفت النظرة أفقَ النور : شمتَ جسده
فراخت .. مُقعده ،

وانظرنا الصيفَ في فصل الشتاء

واغتسلنا نشدُّ البرءَ نهارَ الأربعاء

ودعونا الله أن يكشف عنا الغمة المتعقدة :

أعطنا ليلة حب واحدة

أعطنا ليلة طهر واحدة

أعطنا ليلة صدق واحدة

وتسمننا صدى الدعوة ، غربلنا الهواء

لم يكن إلا .. الوباء

جرباً تحت الجلود :

الظفرُ لا يجدى ..

ولا يجدى الدواء !

جربَ أوغل . حتى الأفدة !!

• • •

ووقفنا في العراء
 ببقايا أغمدة ..
 وتلفتنا ، فأبصرنا عظامَ الشهداء
 تتلوى في رمالِ الضحراء
 تقصد النيل .. لكي يمنحها جرعة ماء
 فسقاها .. كَمَدَه !
 ورأينا في مرايا مائه أوجهنا ..
 كنا عراة تعساء
 خلفنا يصطكُ بابُ المصيصة .
 .. والشفاءُ المرغياتُ المزبدة .
 تتبارى في المتلفات ،
 تدقُّ المنضدة
 ثم تنسلُّ اذا انفضَّ البكاء
 تتلهى بالصدور الناهدة
 في حوانيت الشواء ،

 يا عصافير الشتاء :

لا تلوميني .. إذا الطوفانُ جاء
..

(١٩٦٩)

الموت في .. القراش

(بيان)

أيها السادة : لم يبقَ اختيارُ
سقط المَهْرُ من الإعياء ،
وانحَلَّتْ سيورُ القَرَبَةِ
ضاقَت الدائرةُ السوداءُ حول الرقبةِ
صدرنا يلمسه السيفُ ،
وفي الظهر : الجدار !

..
أيها السادة : لم يبقَ انتظارُ
قد منعنا جزيّة الصميتِ لمملوكٍ وعَبْدُ
وقَطَعْنَا شِعْرَةَ الوالى « ابن هند »
ليس ما نخسره الآن ..
سوى الرحلةِ من مقهى إلى مقهى ..
ومن عارٍ .. لعَارٍ !!

على محطات القرى ..
 ترسو قطارات السهاذ
 فتطوى أجنحة الغبار في استرخاءة الدنو
 والنسوة المتشحات بالسواذ
 تحت المصاييح ، على أرصفة الرسو
 ذابت عيونهن في التحديق والرئو
 عل وجوه الغائبين منذ أعوام الحداذ
 تشرق من دائرة الأحزان والسلو

..

ينظرون .. حتى تتآكل العيون
 تتآكل الليالى ،
 تتآكل القطارات من الرواج والغلو
 والغائبون فى تراب الوطن — العدو
 لا يرجعون للبلاد ..
 لا يخلعون معطف الوحشة عن مناكب الأعياذ

نافورة حمراء .
 طفل يبيع الفلّ بين العربات .
 مقتولة تنتظر السيارة البيضاء .
 كلب يحك أنفه على عمود النور .
 مقهى ، ومذباغ ، وتردّ صاحب ، وطاولات .
 ألوية ملوثة الأعناق فوق الساريات .
 أندية ليلية .
 كتابة ضوئية .
 الصحف الدامية العنوان .. يضرّ الصفحات .
 حوائط ، وملصقات ..
 تدعو لرؤية (الأب الجالس فوق الشجرة)
 والثورة المنتصرة !
 إيقاعات :

سرحانُ يا- سرحانُ
والصمتُ قد هُلكَ
حتَّى متى وحدَكَ
يُخْفِرُكَ السَّجَانُ ؟

..

نُقْتَلُ ، أَوْ نُقْتَلُ
هذا الخيَّارُ الصعبُ
وشلنا بالرعب ..
تُرَدُّدُ العُزْلُ

..

في البيتِ ، في الميدانِ
نُقْتَلُ يا سرحان !

- ٣ -

أُبْخِرُهُ الشَّايَ تدور في الفناجين ، وتشرَّبُ
يَلْتَمُّ هَمْلُ العائلة
.. إلا الذي في الصَّحَرَاءِ القاحلة

يرقدُ في أَسعَاءِ طائرٍ وذئبٍ
 (يهبطُ من صورته المقابلة
 يلتفُ حول رأسِهِ الدامي شريطُ الحزنِ
 يجلسُ قربَ الركنِ
 يضغى إلى ثرثرة الأفواه والملاعقِ المُبتدلةِ
 ينشقُّ في وقفته .. نصفينِ
 يصبُّ في منتصفِ الفنجانِ .. قطرتينِ
 من دمه ،
 ينكسرُ الفنجانُ .. شظيتينِ)
 ينكسرُ النسيانُ
 وهو يعودُ باكياً إلى إطارِ الصورة المُجللةِ
 بآية القرآن !

إيقاعات :

الدَّمُ قَبْلَ النَّوْمِ
 نَلْبِسُهُ .. رَدَاعًا
 وَالدَّمُ صَارَ مَاءً
 يُرَاقُ كُلُّ يَوْمٍ

.. ..

الدمُ في الوسائد
يلونه الداكنُ
واللبنُ الساخنُ
تبيعه الجرائدُ

.. ..

اللبنُ الفاسدُ
اللبنُ الفاسدُ
اللبنُ الفاسدُ
يُخفي الدمَ — الشاهدُ

- ٤ -

أموتُ في الفراشِ .. مثلما تموتُ العيرُ ،
أموتُ ، والنفيرُ ..
بدقُ في دمشق ..
أموتُ في الشارع : في العطورِ والأزهارِ
أموتُ ، والأعداءُ ..
تدوسُ وجهَ الحقِّ .

« وما بجسمي موضع إلا وفيه طعنةٌ برمح »
.. إلا وفيه جرحٌ ،
إذن .

« فلا نامت عيونُ الجُبناء »

١٩٧٠

لا وقت للبكاء

لا وقت للبكاء .

فَالْعَلَمُ الَّذِي تَنْكَسِيْنُهُ .. عَلَى سِرَادِقِ الْعِزَاءِ
مُنْكَسِرٌ فِي الشَّاطِئِ الْآخِرِ ،

وَالْأَبْنَاءُ ..

يُسْتَشْهَدُونَ كَيْ يَقِيْمُوهُ .. عَلَى « ثَبَّة » ،
الْعَلَمُ الْمَنْسُوجُ مِنْ حِلَاوَةِ النُّصْرَةِ وَمِنْ مَرَارَةِ النُّكْبَةِ
خَيْطًا مِنَ الْحُبِّ .. وَخَيْطَيْنِ مِنَ الدِّمَاءِ
الْعَلَمُ الْمَنْسُوجُ مِنْ خِيَامِ الْلَاجِئِينَ لِلْعِرَاءِ
وَمِنْ مَنَادِيْلٍ وَدَاعِ الْأُمَمَاتِ لِلْجُنُودِ :
فِي الشَّاطِئِ الْآخِرِ ..

مُلَقًى فِي الثَّرَى ..

يَنْهَشُ فِيهِ الدُّوْدُ ،

يَنْهَشُ فِيهِ الدُّوْدُ .. وَالْيَهُودُ

فَانْخَلَعُوا مِنْ قَلْبِكِ الْمَقْتُودِ

فها على أبوابك السبعة ، يا طيبة ..
يا طيبة الأسماء :

يُقعى أبو الهول ،
وثُقعى أمة الأعداء
مجنونة الأنبياء والرغبة ..
تشربُ من دمائِ ابنائكِ قربةً .. قربةً
تفرشُ أطفالك في الأرضِ بساطاً ..
للمدرعات والأحذية الصلبة
وأنتِ تبكين على الأبناء ،
تبكين ؟

يا ساقية دائرة ينكسر الحنين ..
في قلبها ، ونيلك الجارى على خدّ التجوع
مجرى دموع
ضفافه : الأحزان والغربة ،
تبكين ؟ مَنْ تبكين ؟
وأنتِ طولَ العمر — تشقين ، وتحصدين ..
مرارة الحنية
وأنتِ — طولَ العمر — تبقين ، وتنجين ..

مقاتلين .. فمقاتلين .. في الحَلَبَة .

• • •

الشمسُ (هذه التي تأتي من الشرق بلا استحياء)
كيف تُرى ثَمْرُ فوق الضفة الأخرى ..
ولا نَجِيءُ مُطْفَأَه ؟
والنَسْمَةُ التي ثَمْرُ في هُبُوبها على مخيم الأعداء
كيف تُرى نَشْمُها .. فلا تسدُّ الأنف ؟
أو تحرقُ الرئة ؟
وهذه الخرائطُ التي صارتُ بها سيناء
عِبْرِيَّةُ الأسماء
كيف نراها .. دون أن يصيبنا العمى ؟
والعارُ .. من أُمَّتِنا المُجَزَّأَة ؟
.. والطفلةُ الصغيرةُ العذبة
تُطلَقُ — فوق البيتِ — طيارتها ، البيضاء
كيف تُرى تَكُثِبُ في كُرْاسَةِ الإنشاء
عن بينها المهلوم فوق الأب .. واللعبة ؟
وأُمِّي التي تظلُّ في فناء البيت مُنْكَبَةً

مفروحة العينين ، مسترسلة الرئاء
تنكث بالعود على التربة :

رأيتها : الخنساء

ترثى شبابها المستشهدين في الصخراء .

رأيتها : اسماء

نبكى ابتها المقتول في الكعبة .

رأيتها : شجرة الدر ..

ترد خلفها الباب على حثان (نجم الدين)

تغلث صدرها على الطعنة والسكين

فالجنذ في الدلتا

ليس لهم أن ينظروا إلى الوراء

أو يدفنوا الموتى

إلا صيحة الغد المنتصر الميمون

.. .. .

(.. والتين والزيتون

وطور سينين ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيت يومها : سفائن الإفرنج

تغوص تحت الموج .

وملك الإفرنج

يفوص تحت السرج .

وراية الإفرنج

تفوص ، والأقدام تُفْرِى وجهها المَعَوَجْ ،

.. وها أنا — الآن — أرى فى غدك المكنون :

صيفاً كيف الوهج

ومُدناً ترتج

وسُفناً لم تنج

ونجمة تسقط — فوق حائط المبكى — إلى الك

وراية (العُقَاب)

ساطعة فى الأوج ..)

. . .

والتين والزيتون

وطور سينين ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيت ليلة الثامن والعشرين ..

من سبتمبر الحزين :

.

رأيت في هتاف شعبي اجريح
(رأيت خلف الصورة)
وجهك .. يا منصوره ،
وجه لويس التاسع المأسور في يدي صبيح

..

رأيت في صبيحة الأول من تشرين
جندك .. يا حطين
يكون ،

لا يدرون ..

أن كل واحد من الماشين
فيه .. صلاح الدين !

(٢٨ سبتمبر ١٩٧٠)

العهد الآتي

وقال الرب الاله هو ذا الانسان قد صار كواحد متًا عارة
الخمر والشر .

العهد القديم

تكم ٣ : ١٢

مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم:
لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود .

العهد الجديد:

يو ١٨ : ٣٦

أَبَانَا الَّذِي فِي الْمَبَاحِثِ . نَحْنُ رَعَايَاكَ . بَاقٍ
لَكَ الْجَبْرُوتُ . وَبَاقٍ لَنَا الْمَلَكُوتُ . وَبَاقٍ لِمَنْ
تَحْرُسُ الرَّهْبُوتُ .

• • •

تَفَرَّدْتَ وَحْدَكَ بِالْإِسْرِ . إِنْ الْيَمِينَ لَفِي الْخُسْرِ .
أَمَّا الْهَاسِرُ فَقِي الْعُسْرِ . إِلَّا . الَّذِينَ يُمَاشُونَ .
إِلَّا الَّذِينَ يَمِشُونَ يَمُخِشُونَ بِالصَّحِيفِ الْمَشْتَرَاةِ
الْعَيُونَ .. فَيَمُخِشُونَ . إِلَّا الَّذِينَ يَمُشُونَ . وَالْأَ
لَّذِينَ يُؤْشُونَ يَأْقَاتُ قَمَصَانَهُمْ بِرِبَاطِ السَّكُوتِ !
تَعَالَيْتَ . مَاذَا يَهْمُكَ مِنْ يَهْمِكَ ؟ الْيَوْمَ يَوْمَكَ
يَرْقِي السَّجِينُ إِلَى سُدَّةِ الْعَرْشِ ..
وَالْعَرْشُ يَصْبَحُ سَجَنًا جَدِيدًا وَأَنْتَ مَكَانَكَ . قَدْ

يتبدّل رسْمُكَ واسْمُكَ . لكن جوهرَكَ الفردَ
 لا يتحوّل . الصمتُ وشمك . والصمت وَثْ
 والصمت — حيث التفت — يرين ويمسك
 بين خيوط يديكَ المشبكتين المصمتين يلف
 الفراشة .. والعنكبوت .

• • •

أبانا الذى فى المباحث . كيف تموت .
 وأغنية الثورة الأهدية
 ليست تموت ؟!

(الاصحاح الأول)

في البدء كنْتُ رجلاً .. وامرأة .. وشجرة .
كنْتُ أباً .. وابناً .. وروحاً قُدساً .
كنْتُ الصباَح .. والمساء ..
والْحَذَقَةُ الثابتة المُنَوَّرَةُ .
وكان عرشي حجراً على صفاف النهر
وكانت الشبابة ..
ترعى ؛ وكان النحلُ حول الزُّهر ..
يطنُّ ؛ والإوزُ يطفو في بحيرة السكون ،
والحياة ..
تنبضُ — كالطاحونة البعيدة !
حين رأيتُ أن كلَّ ماأراه
لاينقلد القلبَ من الملل !

(مبارزات الديكة
كانت هي التسليّة الوحيدة
في جلستي الوحيدة
بين غصون الشجر المشتبكة !)

(الاصحاح التالي)

قلتُ لنفسي : لو نزلت الماء .. واغتسلت .. لانقسمتُ
(لو انقسمت .. لازدوجت .. وابتسمتُ)
وبعدما استحمتُ ..
تناسَجَ الزهرُ وشاحاً من حرارة الشفاه
لَفَفْتُ فيه جسدِي المصطك .
(وكان عرشي طافياً .. كالفلك)
ورفُ عصفورٍ على رأسي ؛ وحطَّ ينفذ البَلَل
حدَّقْتُ في قرارة المياه
حدَّقْتُ ؛ كان مأراًه
وجهي .. مكللاً بتاج الشوك !

(الاصحاح الثالث)

قلتُ : فليكن الحبُّ في الأرض ، لكنه لم يكن .
قلتُ : فليذبِ النهرُ في البحرِ ، والبحرُ في السُّحْبِ ،
والسُّحْبُ في الجذبِ ، والجذبُ في الخصبِ ، ينبت
خيزراً ليسندَ قلب الجياحِ ، وعشباً لماشية
الأرضِ ، ظلاً لمن يتفرَّبُ في صحراء الشجنِ .
ورأيتُ ابنَ آدمَ — ينصبُ أسواره حول مزرعة
اللهِ ، يتاعُ من حوله خرساً ، ويبيع لإخوته
الخبزَ والماءَ ، يحتلبُ البقراتِ العجافَ لتعطى اللبنُ .
قلتُ فليكن الحبُّ في الأرض ، لكنه لم يكن .
أصبح الحبُّ ملكاً لمن يملكون الثمنُ .

... ..

ورأى الربُّ ذلك غيرَ حَسَنٍ !

• • •

قلتُ : فليكن العدلُ في الأرض ، عَيْنٌ بعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ .
قلتُ : هل يأكل الذئبُ ذنباً ، أو الشاةُ شاةً ؟
ولا تضعُ السيفَ في عُنُقِ اثنين : طفل .. وشيخٌ .

ورأيتُ ابنَ آدمَ يُرِيدِي ابنَ آدمَ ، يُشعلُ في
المدنِ النارَ ، يغرُسُ خُجْرَهُ في بطونِ الحوامِلِ ،
يُلْقِي أَصَابِعَ أَطْفَالِهِ عَقْفًا لِلخِيُولِ ، يَقْصُرُ الشِّفَاةَ^٤
وَرُودًا تُزَيِّنُ مَائِدَةَ النَصْرِ .. وهى تَعْنُ .
أصبحَ العدلُ موتًا ، وميزانه البندقية ، أبنائُهُ
صُلِبُوا في الميادينِ ، أو شُنِقُوا في زوايا المدنِ .
قلتُ : فليكنَ العدلُ في الأرضِ ، لكنَّهُ لم يكنْ .
أصبحَ العدلُ ملكًا لمن جَلَسُوا فوق عرشِ الجماجمِ
بالطَّيْلَانِ —

الكفنُ .

... ..

ورأى الربُّ ذلكَ غيرَ حسنٍ !

• • •

قلتُ : فليكنَ العقلُ في الأرضِ ، تُصْنَى إلى صَوْتِهِ الْمُتَرَنِّمِ .
قلتُ : هل يبتنى الطيرُ أعشاشه في فمِ الأفعوانِ ،
هل الثَّوَدُ يَسْكُنُ في لَهَبِ النارِ ، والثَّوَمُ هل
يضعُ الكُحْلَ في هدبِ عينه ، هل ييْذِرُ المَلَحَ

مَنْ يَرْنَحِي القَمَحَ حِينَ يَدُورُ الزَّمَنُ .
 وَرَأَيْتَ ابْنَ آدَمَ وَهُوَ يُجَنُّ ، فَيَقْتُلُ الشَّجَرَ المتطاوِلَ ،
 يَصُقُّ فِي البَرِّ ، يَلْقَى عَلَى صَفْحَةِ النهرِ بالزَيْتِ ،
 يَسْكُنُ فِي البَيْتِ ؛ ثُمَّ يُخْبِئُ فِي أَسْفَلِ البابِ
 قَبْلَةَ المَوْتِ ، يُؤْوِي العَقَارِبَ فِي دَفءِ أَضْلَاعِهِ ،
 وَيُورِثُ ابْنَاءَهُ دِينَهُ .. وَاسْمَهُ .. وَقَمِيصَ الفِتَنِ .
 أَصْبَحَ العَقْلُ مُغْتَرِباً يَتَسَوَّلُ ، يَقْذِفُهُ صَيِّتُهُ
 بِالْحَجَارَةِ ، يُوقِفُهُ الجُنْدُ عِنْدَ الحُدُودِ ، وَتَسْحَبُ
 مِنْهُ الحُكُومَاتُ جَنَسِيَّةَ الوَطَنِ .. وَتُدْرِجُهُ فِي
 قَوَائِمِ مَنْ يَكْرَهُونَ الوَطَنَ .
 قُلْتُ : فَلْيَكُنِ العَقْلُ فِي الأَرْضِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ .
 سَقَطَ العَقْلُ فِي دَوْرَةِ النَفْسِ وَالسَّجَنِ .. حَتَّى يُجَنَّ

 وَرَأَى الرَّبُّ ذَلِكَ غَيْرَ حَسَنٍ !

(الاصحاح الرابع)

قُلْتُ : فَلْيَكُنِ الرِّيحُ فِي الأَرْضِ ؛ تَكْنَسُ هَذَا العَفَرُ
 قُلْتُ : فَلْيَكُنِ الرِّيحُ وَالدَّمُ ... تَقْتُلُ الرِّيحُ هَسَنَةً

الورق الذابل المُتَشَبِّثُ ، يندلع الدم حتى
 الجنور فيزهرها ويظهرها ، ثم يصعد في
 السوق .. والورق المُتَشَابِكُ . والتمر المُتَدَلِّي ؛
 فيعصره العاصرون نبيذاً يزغرد في كل دن .
 قلتُ : فليكن الدم نهرأ من الشهد ينساب تحت فراديس عند
 هذه الأرض حسناء ، زيتها الفقراء ، لهم تطليب ،
 يعطونها الحب ، تعطيم النسل والكبرياء .
 قلتُ : لا يسكن الأغنياء بها . الأغنياء الذين
 يصوغون من عرق الأجراء نُقُودَ زنا .. ولآلئ
 تاج . وأقراط عاج .. ومسبحة للرياء .
 إننى أول الفقراء الذين يعيشون مُغْتَرِبِينَ ،
 يموتون مُخْتَسِبِينَ لدى العزاء .
 قلتُ : فلتكن الأرض لى ... ولهم !
 (وأنا بينهم)
 حين أخلع عنى ثياب السماء .
 فأنا أُنْقَدِّسُ — فى صرخة الجوع — فوق الفراش الحثين !

(الاصحاح الخامس)

حَدَقْتُ فِي الصَّخْرَةِ ؛ وَفِي الْيَنْبُوعِ
 رَأَيْتُ وَجْهِي فِي سِمَاتِ الْجُوعِ !
 حَدَقْتُ فِي جَيْبِي الْمَقْلُوبِ
 رَأَيْتُنِي : الصَّلِيبَ وَالْمَصْلُوبَ
 صَرَخْتُ — كُنْتُ خَارِجاً مِنْ رَحِمِ الْمَنَاءِ
 صَرَخْتُ ؛ أَطْلُبُ الْبَرَاءَةَ
 كَيْتَوْنِي : مَشْنَقِي
 وَخَبْلِي السُّرِّي :
 حَبْلُهَا
 الْمَقْطُوعُ !

سفر الخروج
(أغنية الكمكة الحجرية)

(الاصحاح الأول)

أيها الواقفون على حافة المذبحة
أشبهروا الأسلحة !
سقط الموت ؛ وانفرد القلب كالمسبحة
والدم انساب فوق الوشاح !
المنازل أضرحه ،
والزنازن أضرحه ،
والمذى .. أضرحه
فارفعوا الأسلحة
واتبعوني !
أنا ندم الغد والبارحة
رايتي : عظمتان .. وجمجمة ،

وشعاري : الصباح !

(الاصحاح الثالى)

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةُ

رَفَعَتْ أُمَّةَ الطَّيِّبَةِ

عَيْنَهَا ..

(دَفَعَتْهُ كُعُوبُ الْبَادِقِ فِي الْمَرْكَبَةِ !)

... ..

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةُ

نَهَضَتْ ؛ نَسَقَتْ مَكْتَبَهُ ..

(صَفَعَتْهُ يَدٌ ..

— أَدْخَلَتْهُ يَدُ اللَّهِ فِي التَّجَرُّبَةِ —)

... ..

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةُ

جَلَسَتْ أُمُّهُ ؛ رَتَقَتْ جَوْرَبَةً ..

(وَخَزَرَتْهُ عَيُونُ الْمُحَقِّقِ ..

حتى تَفْجَرَ من جلده الدَّمُ والأجوبة !

... ..

دقت الساعةُ المتعبةُ !

دقت الساعةُ المتعبةُ !

(الاصحاح الثالث)

عندما عَهِطُونَ على ساحةِ القوم ؛ لا تَبْدُنِي بِالسَّلامِ
فَهُمْ الْآنَ يَفْتَسِمُونَ صِغَارِكَ فوق صِيحَافِ الطَّعَامِ

بعد أن أَشْعَلُوا النَّارَ فِي الْعُشِّ ..

وَالْقَشِّ ..

وَالسَّنْبِلَةِ .

وَعِدّاً يَذْبَحُونَكَ .. بِحَثَا عَنْ الْكَتْرِ فِي الْحَوْصَلَةِ !

وَعِدّاً تَفْتَدِي مُلْدُنُ الْأَلِفِ عَامٌ .

مَدْنًا .. لِلخِيَامِ

مَدْنًا تَرْتَقِي قَرَجُ الْمُقْصَلَةِ !

(الاصحاح الرابع)

دقت الساعةُ القاسيةُ

وقفوا في ميادينها الجَهْمَةِ الخاويةُ
واستداروا على دَرَجَاتِ النَّصْبِ
شجراً من لَهَبِ
تعصف الريحُ بين ورُيقاته الغضة الدانيةُ
فَيَنْقُصُ : • بلادى .. بلادى •
(بلادى البعيدة !)

... ..
دقت الساعةُ القاسيةُ
• انظروا • ؛ هتفتُ غانيةُ
تمطى بسيارة الرقم الجُمُرُكِيِّ ؛
وتمتت الثانية :
سوف ينصرفون إذا البردُ حُلَّ .. وَرَانَ التعبُ

... ..
دقت الساعةُ القاسيةُ
كان مذياعُ مقهى يذيع أحاديثه البالية
عن دُعاةِ الشغبِ
وهم يستديرون ؛
يشتعلون — على الكعكةِ الحَجَرِيَّةِ — حول النَّصْبِ
معدانَ غَضَبِ

يتوهج في الليل ..
والصوت يكتسح العتمة الباقية
يتغنى لليلة ميلاد مصر الجديدة !

(الاصحاح الخامس)

أذكريني !
فقد لَوُثَّتِي العناوين في الصُّحُفِ الخائنة !
لَوُ ثَّتِي .. لَأُنَى منذ الهزيمة لا لون لي
(غمر لون الضياغ)
قبلها ؛ كنتُ أقرأ في صفحة الرمل
(والرمل أصبح كالْعُمْلَةِ الصعبة ،
الرملُ أصبح أبْسَطَةً .. تحت أقدام جيش الدفاع)
فاذكريني ؛ كما تذكرين المُهْرَبَ .. والمطربَ العاطفي ..
وكأَبَ العقيد .. وزينة رأس السنة .
أذكريني إذا نسيَّتني شُهُودُ العيانِ
ومَضْبُطَةُ البرلمانِ
وقائمةُ التُّهمِ المُغلَّنةِ
والوداع !

الوداع !

(الاصحاح السادس)

دقت الساعة الخامسة

ظَهَرَ الجُنْدُ دائِرَةً من دُرُوعٍ وَخُوذَاتِ حَرْبٍ

هَـا هُمُ الْآنَ يَقْتَرِبُونَ رَوِيْدَا .. رَوِيْدَا ..

يَجِيئُونَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ

وَالْمُقْتَنُونَ — فِي الكَعْكَةِ الحَجَرِيَّةِ — يَتَقَبَّضُونَ

وَيَتَفَرَّجُونَ

كَبْضَةِ قَلْبٍ !

يُشْعَلُونَ الحَنَاجِرَ ،

يَسْتَدْفِقُونَ مِنَ البَرْدِ وَالظُّلْمَةِ القَارِصَةِ

يَرْفَعُونَ الْأَنَاشِيدَ فِي أَوَّجِ الحَرَسِ الْمُقْتَرَبِ

يَشْبِكُونَ أَيْدِيَهُمُ الْعُضَّةَ البَائِسَةَ

لَتَصِيْرَ سَاجِدًا يَصُدُّ الرِّصَاصَ !

الرِّصَاصِ ..

الرِّصَاصِ ..

وَأَه ..

« نحن فداؤك »

وتسقط حنجرة مُحَرَّسَةٌ

معهما يسقطُ اِجْمَلُكُ — يا مصرُ — في الأرضِ

لا يَبْقَى سِوَى الجَسَدِ المَتَشَتِّمِ والصَرَخَاتِ

على السَّاحَةِ الدَّامِسَةِ !

دقت الساعة الخامسة

... ..

دقت الخامسة

... ..

دقت الخامسة

... ..

وتَفَرَّقَ ماؤُكَ — يانهرُ — حينَ بَلَغَتِ المَصِيبُ !

• • •

المنازلُ أَضْرَحَةٌ ، والزنازُنُ

أَضْرَحَةٌ ، والمُلْدَى أَضْرَحُه

فارفعوا الأسلحة !

ارفعوا

الأسلحة

سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس (بكائيات)

(الاصحاح الأول)

عائدون ؛ وأصغر إخوتهم ذو العيون الحزينة
يتقلب في الجُب ،
أجمل إخوتهم .. لا يعود !
وعجوز هي القدس (تشتعل الرأس شيئا)
تشم القميص . فتفيض أعينها بالبكاء ،
ولا تخلع الثوب حتى يمحي لها نبا عن فتاها البعيد
أرض كنعان — إن لم تكن أنت فيها — مراعى من الشوك
يورثها الله من شاء من أمم ،
فالذى يحرس الأرض ليس الصياف
إن الذى يحرس الأرض رب الجنود
آه من فى غد سوف يرفع هامته
غمر من طأطأوا حين آزر الرصاص ؟

ومن سوف يخطب — في ساحة الشهداء —
سوى الجبناء ؟
ومن سوف يُغوى الأرامل إلا الذى
سيؤول اليه راج المدينة ؟

(الاصحاح الثالى)

أرشق في الحائط حد المطواه
والموت يهت من الصحف الملقاة
انجزاً في المرأة
بصفنى وجهى المتخفى تحت قناع النفط
من يجرؤ أن يضع الجرس الأول فى عنق القط ؟

(الاصحاح الثالث)

منظر جانبي لفمروز
(وهى تطل على البحر من شرفة الفجر)
لبنان فوق الخريطة :
منظر جانبي لفمروز ،
والبندقية تدخل كل بيوت (الجنوب)

مطرُ النار يهطل ، يثقبُ قلباً .. فقلباً
ويتركُ فوق الخريطة ثقباً .. فثقباً
وفيروزُ في أغنياتِ الرعاة البسيطة
تستعيد المراثى لمن سقطوا في الحروب
تستعيد الجنوب !

(الاصحاح الرابع)

البسمة حلم
والشمسُ هي الدينارُ الزائف
لى طَبَقِ اليوم
(من يمسحُ عنى عَرَقِ لى هذا اليوم الصائف)
والظل الخائف
يَتَمَدَّدُ من تحتى ؛
يفصل بين الأرض .. وبينى !
ومضاء لث كبحرف مات بأرض الخوف
(حاء .. باء)
(حاء .. راء .. ياء .. هاء)
الحرف : السيف
مازلتُ أروُدُ بلادَ اللّونِ الداكنِ

ابحث عنه بين الاحياء الموقى والموقى الاحياء
حتى يرتد النبض إلى القلب الساكن
لكن .. !!

(الاصحاح الخامس)

منظر جانبي لعمان عام البكاء
والحوائط مرشوشة ببقايا دم لعقته الكلاب
ونهود الصبايا مصاييح مطفأة فوق أعمدة الكمبراء
منظر جانبي لعمان ؛
والحرس الملكي يفتش ثوب الخليفة
وهو يسير إلى • إيلياء •
وتغيب البيوت وراء الدخان
وتغيب عيون الضحايا وراء النجوم الصغيرة
في العلم الأجنبي ،
ويعلو وراء نوافذ • بسمان • عزف البيان

(الاصحاح السادس)

إشترى في المساء

قهوة ، وشبطيرة
واشترى شمعتين . وغُدَّارة ، وذخيرة
وزجاجة ماء

... ..

عندما أطلق النارَ كانتْ يَدُ القدس فوق الزناد
(ويَدُ الله تخلع عن جسدِ القدس ثوبَ الحداد)
ليس من أجل أن يتفجَّرَ نَفْطُ الجزيرة
ليس من أجل أن يتفاوضَ من يتفاوضُ
من حول مائدةٍ مستديرة
ليس من أجل أن يأكلَ السادةُ الكسْتَاءَ .

(الاصحاح السابع)

ليغفر الرصاصُ من ذنبك ما تأخَّرَ
ليغفر الرصاصُ .. ياكيسنَجَرُ

سفر الف دال

(الاصحاح الأول)

القطاراتُ ترحل فوق قضيبين : ما كان — ماسيكونُ
والسماءُ رمادٌ ، به صنع الموتُ قهوتهُ ،
ثم ذراه كي تَنَشَّقَه الكائناتُ
فينسل بين الشرايين والأفئدة .
كلُّ شيءٍ — خلال الزجاج — يَفِرُّ :
رذاذُ الغبارِ على بقعة الضوء ،
أغنيةُ الريح ،
قطرةُ النهر ،
سربُ العصافيرِ والأعمدة .
كلُّ شيءٍ يَفِرُّ ،
فلا الماءُ تمسكه اليدُ ،
والحلمُ لا يتبقى على شرفات العيون .
... ..

والقطاراتُ ترحلُ ، والراحلونُ
يَصِلُونَ .. ولايَصِلُونَ !

(الاصحاح الثالى)

سنترال :

أعطِ للفتياتِ

(اللواتى يَتَمَنَّى إلى جانب الآلةِ الباردةِ

شاردايتِ الخيالِ)

رقمى. — رقمَ الموتِ — حتى أجيءَ إلى العُرسِ

ذى الليلةِ الواحدةِ !

أعطِهِ للرجالِ ..

عندما يَلْتُمُونَ حبيبتهم فى الصباحِ ،

ويَرحَلُونَ إلى جَبْهَاتِ القتالِ !

(الاصحاح الثالث)

الشهورُ زُهورٌ على حافةِ القلبِ تنمو

وتُحرقها الشمسُ ذاتُ العيونِ الشتائيةِ المطفأةِ

زهرةٌ فى إناءِ

توهجُ فى أوَّلِ الحبِّ بينى وبينك

تصبح طفلاً .. وأرجوحة .. وامرأة .

زهرة في الرداء

تفتتح أوراقها في حياء

عندما تتخاصر في المشية الهادئة .

زهرة من غناء

تورد فوق كمنجات صوتك

حين تفاجئك القبلة الداخلة

زهرة من بكاء

تجمد فوق شجيرة عينيك في لحظات الشجار الصغيرة

أشواكها : الحزن والكبرياء .

... ..

زهرة فوق قبر صغير

تنحنى ؛ وأنا أتحاشى التطلع نحوك ..

في لحظات الوداع الأخير

تتعري ؛ وتلتف بالدمع في كل ليل إذا الصمت جاء

لم يمد غيرها من زهور المساء

هذه الزهرة — اللؤلؤة !

(الاصباح الرابع)

تُحِبُّ الْفَتَيَاتُ
فِي زَهَارَاتِ أَعْمَامِهِنَّ إِلَى الْعَائِلَةِ
لَمْ يَجْهَضْهُنَّ الزَّحَامُ عَلَى سُلْمٍ وَ الْحَافِلَةُ ،
وَتَرَامِ الضَّجِيجِ !

• • •

تَذْهَبُ السِّدَاتُ
لِيُعَالَجْنَ أَسْنَانَهُنَّ فَيُؤْمِنُ بِالْوَحْدَةِ الشَّامِلَةِ !
وَيُجِدْنَ الْهَوَى بِلِسَانٍ وَ الْخَلِيجِ ؟

• • •

يَا أَهَانَا الَّذِي صَارَ فِي الصِّدَائِيَّاتِ وَالْعُلْبِ الْعَازِلَةِ
نَجْنَا مِنْ يَدِ الْقَابِلَةِ ،
نَجْنَا . حِينَ نَقْضَمُ — فِي جَنَّةِ الْبُؤْسِ — تَفَاحَةَ الْعَرِبَاتِ
وَنِيَابِ الْخُرُوجِ !!

(الْأَصْحَاحُ الْخَامِسُ)

تصرخين .. وتخرقين صفوف الجنود
تعانق في اللحظات الأخيرة ،
في الدرجات الأخيرة .. من سلم المقصلة .
أتحسن وجهك !
(هل أنت طفلتى المسحيلة أم أمى الأرملة ؟)
أتحسن وجهك !
(لم ألك أعينى ..
ولكنهم أرفقوا مقلتي ویدی بملف اعتراف
لتظرة السلطان ..
فتعرف ألى راجعته كلمة .. كلمة ..
ثم وقعته يدي ..
— ربما درس هذا المحقق لى جملة تنتهى لى إلى الموت !
لكنهم وعدوا أن يعيدوا إلى يدي وعيني بعد
انتهاء المحاكمة العادلة !)
زمن الموت لا ينتهى يا ابنتى الناكلة
وأنا لست أول من نبأ الناس عن زمن الزلزلة
وأنا لست أول من قال فى السوق :
ان الحمامة — فى العشر — تحتضن القنبلة !
قيلبنى ؛ لأنقل سرى إلى شفتيك ،

لأنقل شوق الوحيد
لك ، للسنبلة
للزهور التي تتبرعم في السنة المقبلة
قبليني .. ولا تدمعي !
سحبُ الدمع تعجبنى عن عيونك ..
في هذه اللحظة المثقلة
كثرت بيننا السُّرر الفاصلة
لا تُضيفي إليها ستاراً جديداً !

(الاصحاح السادس)

كان يجلس في هذه الزاوية .
كان يكتب ، والمرأة العارية
تتجول بين الموائد ؛ تعرض فنتها بالثمن .
عندما سأله عن الحرب ، قال لها ..
لا تخافى على الثروة الغالية
فعدو الوطن
مثلنا يحترق
مثلنا .. يعشق السلع الأجنبية ،

بكره لحم الخنازير ،
يدفعُ للبندقية .. والغاية .
.. فبكت !

... ..

كان يجلس في هذه الزاوية .
عندما مرّت المرأة العارية
ودعاها ؛ فقالت له إنها لن تُطيل القعود
فهي منذ الصباح تُفتّشُ مستشفيات الجنود
عن أخيها المحاصر في الضفة الثانية
(عادت الأرض .. لكنّه لا يعود !)
وحكّت كيف تحملُ العبءَ طيلة غربته القاسية
وحكّت كيف تلبس — حين يجيء — ملابسها الضافية
وأرثته له صورةً بين أطفاله .. ذات عيد
.. وبكت !!

(الاصحاح السابع)

أشعر الآن أنى وحيداً ؛
وأن المدينة في الليل ..

(أشباخها وبنائاتها الشاهقة)

سفن غارقة

نهبتها قراصنة الموت ثم رمتها إلى القاع منذ سنين .

أسند الرأس ربانها فوق حافتها ،

وزجاجة خمر محطمة تحت أقدامه

وبقايا وسام ثمين .

وتشبث بحارة الأمس فيها بأعمدة الصمت في الأروقة

يتسلل من بين أسماهم سمك الذكريات الحزين .

وخناجر صامتة ..

وطحالب نابتة ..

وسلال من القطط النافقة .

ليس ما ينبض الآن بالروح في ذلك العالم المستكين

غير ما ينشر الموج من علم .. كان في هبة الريح

والآن يفرك كفيه في هذه الرقعة الضيقة

سيظل على الساريات الكسيرة يخفق ..

حتى يذوب .. رويداً .. رويداً ..

ويصدأ فيه الحنين

دون أن يلمس الريح ثانية ، أو يرى الأرض ،

أو يتهدد .. من لمسها المحرقة !

(الاصحاح الثامن)

آه .. سيدتي المسبلة

آه .. سيدة الصمت واللففات الودود

لم يكن داخل الشقة المقفلة

غير قفّ وحيد .

حين عادت من السوق تحمل سلّتها المثقلة

عرفت أن ساعي البريد

مر ..

(في فتحة الباب كان الخطاب

طريحا ..

ككاتب الشهيد ا)

قفز القط في الولولة

قفزت من شبائك جيرانها الأسئلة

... ..

آه .. سيدة الصمت والكلمات الشرود

آه .. أيتها الأرملة ا

(الاصحاح التاسع)

دائماً .. حين أمشي ؛ أرى السُّرَّةَ القرمزيَّةَ
بين الزحام .

وأرى شعرك المتهدِّل فوق الكتف .
وأرى وجهك المتبدِّل .. فوق مرايا الخوانيتِ ،
في الصُّور الجانيَّةِ ،

في نظرات البنات الوحيداتِ ،
في لمعان خلود المحبين عند حلول الظلام .
دائماً أتمسُّسُ ملمسَ كفِّك في كلِّ كفِّ .

المقامي التي وهبتنا الشرابَ ،
الزوايا التي لا يمرانا بها الناسُ ،
تلك الليالي التي كان شعرك يبتلُّ فيها ..

فتخبئين بصدرى من المطرِ العصي
الهدايا التي نتشاجر من أجلها ،
حلقاتُ الدخان التي تتجمُّعُ في لحظات الخصاص
دائماً أنت في المنتصف !

أنت بيني وبين كتابي ..
وبيني وبين فراشي ..
وبيني وبين هلواني ..
وبيني وبين الكلام .

ذكر بآثك سجنى ، وصوتك يجلدلى
ودمى قطرة — بين عينيك — ليست تجف !
فامنحنى السلام !
امنحنى السلام !.

(الاصحاح العاشر)

الشوارع فى آخر الليل .. آه
أراهم منشحات يتهنهن فى عتبات القبور — البيوت .
قطرة .. قطرة ، تساقط أدنهن مصايح ذابلة
تثبت فى وجنة الليل ثم .. تموت !
... ..

الشوارع فى آخر الليل .. آه
خيوط من العنكبوت .
والمصايح — تلك الفراشات — عالقة فى مخالبها
تطوى .. فتمصرها ، ثم تتحل شيئاً . شيئاً
فتمصر من دمها قطرة .. قطرة ؛
فالمصايح تموت !
... ..

الشوارع فى آخر الليل .. آه

أَفَاعُ تَنَامُ عَلَى رَاحَةِ الْقَمَرِ الْأَبَدِيِّ الصُّمُوتُ .
لَمَعَانِ الْجُلُودِ الْمَفْضُضَةِ الْمَسْتَطِيلَةِ يَغْدُو مَصَائِيحُ
مَسْمُومَةُ الضَّوئِ ، يَفْقُو بِدَاخِلِهَا الْمَوْتُ ،
حَتَّى إِذَا غَرَبَ الْقَمَرُ : انْطَفَأَتْ
وَعَلَى فِي شَرَايِنِهَا السَّمُ
تَنْزِفُهُ قَطْرَةً .. قَطْرَةً ؛ فِي السَّكُونِ الْمَمِثِ !

... ..

... ..

وَأَنَا كُنْتُ بَيْنَ الشَّوَارِعِ وَحْدِي !
وَبَيْنَ الْمَصَائِيحِ وَحْدِي !
أَتَصَبَّبُ بِالْحُزْنِ بَيْنَ قَمِيصِي وَجِلْدِي
قَطْرَةً .. قَطْرَةً ؛ كَانَ حَبِي يَمُوتُ
وَأَنَا خَارِجٌ مِنْ فَرَادَيْسِهِ ..
دُونَ وَرَقَةٍ تَوْتُ !!

المزمور الأول

أعشق أسكندرية ،
واسكندرية تعشق رائحة البحر ،
والبحر يعشق فاتنة في الضفاف البعيدة !
• • •

كل أمسية ؛ تسلل من جانبي .
تجرّد من كل أثوابها
وتحلّ غداثرها
ثم تخرج عارية في الشوارع تحت المطر !
فاذا اقتربت من سرير التهنيد والزرقعة
انطرحت في ملاءاته الرغوية ؛
وانفتحت .. تنتظر !

ممدودة — كالداء
ومشدودة — كالوتر
... ..
وتظل .. وحيدة !!

المزمور الثانى

قلتُ لها فى الليلة الماطرة :
البحرُ عنكبوت
وأنتِ — فى شراكه — فراشةٌ تموتُ
وانتفضتْ كالقطة النافرة
وانتصبت فى خفقان الريح والأمواج
(ثديانٍ من زجاج
وجسدٌ من عاج)
وانفلتت مبعرةً فى رحلة المجهول ، فوق الزبد المُهتاج
ناديتُ .. ما ردَّتْ !
صرختُ .. ما ارتدَّتْ !
وظلُّ صوتي يتلاشى .. فى تلاشيها ..

وراء الموجة الكاسرة)

...
...
...
(خاسرة ، خاسرة

إن تنظري في عيني الغريبة الساحرة
أو ترفعي عينيك نحو الماسة التي تزين التاج !)

المزمور الثالث

لفظ البحر أعضاءها في صباح ألم
فرايت الكلوم
ورأيت أظافرها الدموية
تتلوى على خصلة ذهبيّة
فحشوت جراحتها بالرمال ،
وأدفاتها بنيذ الكروم ..

...
...
...
وتعيش معي الآن
ما بيننا حائط من وجوم
بيننا نسمات الغريم
كل أمسية ..

تسلك في ساعة المَد ، في الساعة القمرية
تستريح على صخرة الأبدية -
تسمع صخرة الموج من تحت أقدامها
وصفير البواخر .. راحلة في السواد الحميم
تصاعد من شفتيها المملحتين رياح السموم
تساقط أدمعها في سهوم
والنجوم

(الغريقة في القاع)
تصعد .. واحدة .. بعد أخرى ..
فتلقطها
وتعدُّ النجوم
في انتظار الحبيب القديم !

المزمور الرابع
(ترنيمة لشهر يناير)

فجأة .. يَجْفُلُ خطو القلب ،
تهتزُّ الكريّات الرصاصية في سلته

(هل إصبغ الوحدة أم اصبغك المصبوغ بالختاء ؟)
في الخارج أسوارٌ وأمطارٌ ،
غلاف الليل ينشق عن الرعد
غلاف القلب ينشق عن الوجد
مساحات من الضوء الرمادي
أنا النافذة المغلقة السوداء
والنفحة الحمراء
والأسماء

(لاسمى كان مكتوباً على طرف قميصي
قبل أن يعلّق في سلك الحدود الشائك !)
النهر ضميري (ولعينيك انسياب النهر)
ما أقسى انتظاري ! ..
وقوادي ساعة رملية صفراء
يهوى الرمل في أعماقها شيئاً فشيئاً
ربما للرمل طعم الملح أحياناً .. وطعم الانتظار !!

(المزمور الخامس)

كان فستائلك في الصيف من الكتان ،

كَاتَزْهَرُهُ فِي صَدْرِكَ بِيضَاءِ ،
ولكن الشتاء الآن يكسوكِ بلون السل والرجس
(حتى ورقة الثوب على فخذيكِ .. صفراء !)
هل الماء يفيضُ الآن في البئر ؟
هل الماء يفيضُ الآن في البئر ؟
أماء ؟ أم دَم ؟

(هذا الندى القاتل ذو الوجهين)
كان النأى يمتدُّ من الضفَّة للضفَّة
من صدرك إلى صدرك
كان النأى ممتدًّا
ولونُ الليل بين البرتقالى — الرَّمادى — السَّماوى
وفي شعركِ غاباتٌ من الوحشة والصمب ؛
هوى نجمٌ ؛ وفي الثانية التالية اصطكتُ يدى
في الشَّبج العابر
(هل كانت يدى فى يدكِ اليسرى ؟)
وفي الثانية الثانية اصطكتُ يدى فى كلمة السجن
على وجه الجدار !!

المزمور السادس

نحنُ صوتان ..
 (إذن فالصوتُ قد أصبح صوتين ؟)
 نترَّهنا على خطِّ استواء الموت ،
 لملئنا البنفسج ..
 وتسلفنا شعاع الزهوي ، خلخلنا مزايج البيوت
 وقدحنا خجر الحب ؛ جلسنا نتوهج
 فاحلفي باسمي ، وباسم العنكبوت
 باسم نقش الذكريات المتعرج
 وركام الذكريات السرج
 انها ورقة توت .
 سقطت عن عورة الصيف ،
 وظلت تندحرج
 فوقنا تنفرج
 (دون أن تطرف) حتى سقطت في النهر ..
 وارتد السكون !

المزمور السابع

جاء الاناس الميتون ، يحملون
 كفائهم ؛ أطيارهم ليست إلى أعناقهم ؛

يستفرون :
 « ماذا أتى بنا هنا ؟ ! »
 أتت بكم امرأة خاطئة
 نهودها دافئة
 ولحمها مُعطر النكهة
 قد استدارت في فراشها برهة
 عانقت الجدار ، قبلت وجهه
 « يا أيها الجدار .. لا تُبَحِّ بما ترى
 ولا تُقل عن الذين يوللون
 وغمغم الجدار :
 يا صديقتي الطفلة
 مات الذين يسألون !

 ومَرَّت الليلة
 فرجما كان أباكم الجدار ،
 ربما يكون !

المزمور الثامن
 (شجوية)

لماذا يتابعني أينما سرْتُ صوتُ الكَمَانِ ؟
 أسافرُ في القاطراتِ العتيقة ،
 (كى أتحدّث للغرباء المُسِينِ)
 أرفعُ صوتي ليطلقني على ضجّة العجلاتِ
 وأغفو على نبضاتِ القطارِ الحديديةِ القلبِ
 (تهرُد مثل الطواحينِ)
 لكنها بغتةً .. تتباعدُ شيئاً فشيئاً
 ويصحو نداءُ الكمانِ !

• • •

أسيرُ مع الناسِ ، في المهرجاناتِ :
 أصغى لبوقِ الجنودِ النحاسيِّ
 يملأُ حلقي غبارُ النشيدِ الحماسيِّ
 لكنني فجأةً .. لا أرى !
 تتلاشى الصفوفُ أمامي
 وينسربُ الصوتُ مبتعداً
 ورويداً .. ورويداً يعود إلى القلبِ صوتُ الكمانِ

لماذا إذا ما تبيّأتُ للنوم بأتى الكمان ..
فأصغى له آتياً من مكان بعيد
فصمت مهممةً الريح خلف الشبايلك ،
نبضُ الوسادةِ في أذنى
تراجعُ دقاتُ قلبي ،
وأرحل في مدن لم أزرها
شوارعها فضةً .

وبناياتها من خيوط الأشعة .
ألقي التي واعدتني على ضفةِ النهر واقفة ا
وعلى كتفها يحطُ اليمامُ الغريبُ
ومن راحتها يغط الحنان ا
أحبك ، صار الكمانُ كموبَ بنادقِ
وصارَ يمامُ الحداثقِ .
قنابلَ تسقط في كلِّ آن

... ..

وغابَ الكمانُ ا

من أوراق أبو نواس

(الورقة الأولى)

هـ ملك أم كتابة ؟ هـ

صاح لي صاحبي ؛ وهو يُلقى بدرهمه في الهواء
ثم يلقفه ..

(خارجين من الدرس كُتا .. وحبر الطفولة فوق الرد
والعصافير ترق عبر البيوت ،
وتعبط فوق النخيل البعيد !)

... ..

هـ ملك أم كتابة ؟ هـ

صاح لي .. فانتبهت ، وزفت ذبابه
حول عينين لامعتين ..

فقلت : هـ الكتابة !

... فتح اليد مبتسما ؛ كان وجه المليك السعيد
باسماً في مهابة !

• • •

« ملك أم كتابة ؟ »
صحّت فيه بدورى ..
فرفر فى مقلتيه الصبا والنجابة
وأجاب : « الملك »
دون أن يطلعهم .. أو يرتبك
وفتح يدي ..
كان نقش الكتابة
بارزاً فى صلابه !
دارت الأرض دورئها ..
حملتنا الشواهد من هدأة النهر
ألقى بنا فى جداول أرض المراة
نتفرق بين حقول الأسي .. وحقول الصباة .
قطرتين ؛ التقينا على سلم القصر ..
ذات مساءٍ وحيد
كنت فيه : نديم الرشيد

بينما صاحبي .. يتولى الحجابة !!

(الورقة الثانية)

من يملك العملة يُمسك بالوجهين
والفقراء يتبنّين !

(الورقة الثالثة)

نائماً كنتُ جانبه ؛ وسمعتُ الحرسُ

يوقظون أياً !

— خارجيُّ

— أنا .. !

— مارقُ

— من ؟ أنا !

صرخَ الطفلُ في صدر أُمّي

(وأُمّي محلولةُ الشعر واقفةً في ملابسها المنزلية)

— إخرسوا

واختبأنا وراءَ الجدارِ

— احرصوا

وتسلل في الحلق خيط من الدم .

كان لى يمسك الجرح ،

يمسك قامته .. ومهاتته العائلية !

— يا لى

— احرصوا

وتواريت في ثوب أمى ، والطفل في صدرها ماتس

ومضوا بأى تاركين لنا اليم متشعاً بالخرس

(الورقة الرابعة)

أيا الشعر .. يا أيا الفرع . المختلس

... ..

كل ما كنت أكتب في هذه الصفحة الورقية

صادرته العسن

... ..

(الورقة الخامسة)

... وأُمِّي مُحَادِمَةٌ فَارِصِيَّةٌ
يَتَنَاقَلُ سَادَتُهَا قَهْوَةُ الْجَنْسِ وَهِيَ تَدِيرُ الْحَطَبَ
يَتَبَادَلُ سَادَتُهَا النُّظَرَاتُ لِأَرْدَافِهَا ..
عِنْدَمَا تُنْحَنِي لِتُضَيِّءَ اللَّهَبَ
يَتَنَلَّرُ سَادَتُهَا الطَّبِيرُونَ بِلَهَجَتِهَا الْأَعْجَمِيَّةِ !

• • •

نَائِمًا كُنْتُ جَانِبَهَا ، وَرَأَيْتُ مَلَكَ الْقُدُسِ
يُنْحَنِي ، وَيُزَيِّتُ وَجْهَهَا
وَتَرَاخَى الذَّرَاعَانِ عَنِّي قَلِيلًا
وَسَارَتْ بِقَلْبِي قُشْعَرِيرَةُ الصَّمْتِ
— أُمِّي ؛ وَعَادَ لِيَ الصَّوْتُ
— أُمِّي ؛ وَجَارُونِي الْمَوْتُ
— أُمِّي ؛ وَعَانَقَتْهَا .. وَبَكَيْتُ
وَعَامَ لِيَ الدَّمْعُ حَتَّى احْتَبَسَ !

• • •

(الورقة السادسة)

لا تسألني إن كَانَ القرآنُ
مخلوقاً أو أزلني
بل سألني إن كَانَ السلطانُ
لصاً .. أو نصفَ نبيِّ

(الورقة السابعة)

كنتُ في كربلاء
قال لي الشيخُ أن الحسينُ
ماتَ من أجل جرعةِ ماءٍ
... ..
ونساءلتُ كيف السيفُ استباحَت بني الأكرمينُ
فأجابَ الذي بهرته السماءُ
إنه الذهبُ المتلألئُ في كلِّ عينٍ
... ..
إن تكن كلماتُ الحسينِ
وسيفُ الحسينِ

وجلالُ الحسينِ
سَقَطَتْ دُونَ أَنْ تُنْقَذَ الْحَقُّ مِنْ ذَهَبِ الْأُمَرَاءِ
أَفْتَقَدِرْ أَنْ تُنْقَذَ الْحَقُّ ثَرَّةُ الشُّعْرَاءِ
وَالْفَرَاثُ لِسَانٌ مِنَ الدَّمِ لَا يَجِدُ الشَّفِيقِينَ ١٩

• • •

مَاتَ مِنْ أَجْلِ جُرْعَةِ مَاءٍ •
فَاسْقِنِي بِأَغْلَامِ صَبَاحِ مَسَاءِ
اسْقِنِي بِأَغْلَامِ ..
عَلَنِي بِالْمَدَامِ ..
أَتَنَاسَى الدَّمَاءَ !

رسوم في بهو عربى

(١)

اللوحَةُ الأولى على الجدار :

ليلي • الدمشقية •

من شرقية • الحمراء • ترنو لمغيبِ الشمس ،

ترنو للخيوطِ البرتقالية

وكرمة أندلسية ، وفسقية

... ..

وطبقات الصمتِ والغبار ا

نقش

(مولاي ، لا غالب إلا الله ا)

(٢)

اللوحةُ الأخرى .. بلا إطار :
للمسجد الأقصى .. (وكانَ قبلَ أن يحترقَ الرواقُ)
وقبةُ الصخرة ، والبَرقِ
وآيةُ تآكلتْ حروفُها الصغار !
نقش

(مولاي ، لا غالبَ إلا .. التار ا)

(٣)

اللوحةُ الدائمةُ الخطوط ، والواهيّةُ الخيوط :
لعاشقٍ محترقِ الأجفانِ
كان اسمه « سرحان »
يمسكُ بندقيّةً .. على شفا السُّقوطِ
نقش

(بيني وبين الناس تلك « الشَّعره »
لكن من يقبضُ فوقَ الثَّورِ
يقبضُ فوقَ الجَمرةِ ا)

(٤)

اللوحة الأخيرة :
خريطة مبتورة الأجزاء
كان اسمها « سيناء »
ولطخة سوداء
تملأ كل الصورة

نقش
(الناس سواسية — في الذل — كأَسنانِ المشط
ينكسرون — كأَسنانِ المشط
في لحية شيخ النفط ١)

• • •

كتابة في دفتر الاستقبال :
لا تسألِ النيلَ أن يُعطى وأن يَلدَا
لا تسألِ .. أبدا
إني لأفتحُ عيني (حين أفتحُها ١)
على كثيرٍ .. ولكن لا أرى أحدا !!

(خاتمة)

آه .. من يُوقِفُ لى رأسى الطواحين ؟
ومن يترعُ من قلبى السكاكين ؟
ومن يقتل أطفالى المساكين ..
لعلَّ يكبروا لى الشقيِّ المفروشة الحمراء
خدّامين ..
مأبوسين ..
قوادين ..
من يقتلُ أطفالى المساكين ؟
لكيلا يصبحوا — فى الغد — شحاذين ..
يستجلون أصحاب الدكاكين
وأبواب المرائين

يبيعون لسيارات أصحاب الملايين .. الرباحين
وفي المترو ، يبيعون الدهائيس وه يس ،
وينسلون في الليل يبيعون الجعارين ،
لأفواج الغزاة السائحين !

... ..
هذه الأرض التي ما وَعَدَ اللهُ بها ..
مَنْ خرجوا من صُلْبِها ..
وانغرسوا في تربتها ..
وانظروا في حُبِّها ..
مُسْتَشْهِدِينَ !

... ..
... ..
فادخلوها ، بسلام ، آمين !!

أَقْوَالٌ جَدِيدَةٌ عَنْ حَرْبِ الْبَسْوَثِ

مقتل كليب « الوصايا العشر »

.. فنظر « كليب » حواليه وتمسّر ، وذرف دمعاً وتعبّر ، ورأى
عيداً واقفاً فقال له : أريد منك يا عبد الخير ، قبل أن تسلبني ، أن
تسحبني إلى هذه البلاطة القريبة من هذا الغدير ، لأكتب وصيتي
إلى أخي الأمير سالم الزبير ، فأوصيه بأولادي وقلدة كبدي ..

فسحبه العبد إلى قرب البلاطة ، والرمح غارس في ظهره ، والدم
يقطر من جنبه .. فغمس « كليب » إصبعه في الدم ، وخط على
البلاطة وأنشأ يقول ..

قصة الأمير سالم الزبير

(١)

لاتصالح !
.. ولو منحوك الذهب
أترى حين أفقاً عينيك ،
ثم أثبتت جوهريين مكانهما ..
هل ترى .. ؟
هى أشياء لا تشترى .. :
ذكريات الطفولة بين أخيك وبينك ،
حسكماً — فجأةً — بالرجولية ،
هذا الحياء الذى يكبت الشوق .. حين تعانقه ،
الصمت — مبتسمين — لتأنيب أمكما ..

وكانكما

ما تزالان طفلين !

تلك العماننة الأبدية ينكما :

أن سيفان سيفك ..

صوتان صوتك

أنك إن مت :

لليت ربُّ

وللطفل أب .

هل يصيرُ دمي — بين حينك — ماء ؟

أتنسى ردائي الملطَّخ ..

تلبسُ — فوق دماي — ثياباً مطرزةً بالقصب ؟

إنها الحرب !

قد تثقلُ القلب ..

لكن خلفك عازَّ العرب .

لا تصالح ..

ولا تسوخُ الهرب !

(٧)

لاتصالح على الدم .. حتى بدم !
لاتصالح ! ولو قيل رأس برأس ،
أكل الرؤوس سواء ؟ !
أقلب الغريب كقلب أخيك ؟ !
أعناه عنا أخيك ؟ !
وهل تتساوى يد .. سيفها كان لك
يد سيفها أنكلك ؟
سيقولون :

جئناك كي نحقن الدم ..
جئناك . كن — بأمر — الحكم

سيقولون :

ها نحن أبناء عم .
قل لهم : إنهم لم يُراعوا العمومة فيمن هلك .
واغرس السيف في جبهة الصَّحراء ..
إلى أن يجيب العدم .
إننى كنتُ لك .
فارماً .

وأخاً .

وأباً .

ومليك !

(٣)

لاتصالح ..

ولو حَرَمْتُكَ الرِّقَاذَ

صرخاتُ الندامة .

وتذكّر ..

(إذا لَانَ قَلْبُكَ للنسوةِ اللابساتِ السوداءِ ولأطفالهنَّ الذين

تخاصمهم الإتهامة)

أَنْ بِنْتَ أَخِيكَ ، العجامة ،

زهرةُ تسرهيل — في سنواتِ الصبا —

بشبابِ الحداد .

كنْتُ ، إنْ عدْتُ :

تعدو على دَرَجِ القصرِ ،

تمسكُ ساقِي عند نزولي ...

فأرفعها — وهي ضاحكة —

فوق ظهر الجواذ .

ها هي الآن .. صامتة .

حرمها يدُ الغدير : .

من كلماتِ أيها ،
أرتداءِ الثياب الجديدة ،

من أن يكون لها — ذات يوم — أخٌ ا

من أبٍ يتَّسَّمُ في عرسها ..

وتعودُ إليه إذا الزوجُ أغضبها ..

وإذا زارها .. يتسابقُ أحفاده نحو أحضانها ،

لINALوا الهدايا ..

وإلهوا بلحيته (وهو مستسلم)

وشلوا العمامة .

لا تصالحُ ا

فما ذنبُ تلك الإمامة

لترى العرشُ محترقاً .. فجأة ،

وهي تجلس فوق الرماذ ؟ ا

(٤)

لاتصالخ
ولو تُوجوك بتاج الإمارة .
كيف تخطو على جثة ابن أهلك .. ؟
وكيف تصير المليك ..
على أوجه البهجة المستعارة ؟
كيف تنظر في يد من صافحوك ..
فلا تبصر اللثم ..
في كل كف ؟
ان سهماً أتانى من الخلف ..
سوف يبيئك من ألف تخلف .
فالدّم — الآن — صار وساماً وشارة .
لاتصالخ ،
ولو تُوجوك بتاج الإمارة
إن عرشك : سيف

وسيفك : زيف
إذا لم تُزن — بذوائبه — لحظات الشرف
واستطبّت — النرف

لاتصالح

ولو قال مَنْ مال عند الصدام

« .. ما بنا طاقةً لامتشاقِ الحسام .. »

عندما يملأ الحق قلبك :

تندلع النارُ إن تتنفسن

ولسانُ الخيانةِ يخرسن

لاتصالح ،

ولو قيلَ ما قيلَ من كلمات السلام .

كيف نستشقُ الرثانِ النسيمَ المُدنسُ ؟

كيف تنظرُ في عيني امرأة ..

أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها ؟

كيف تُصبح فارسها في الغرام ؟

كيف ترجو غداً .. لوليدٍ ينام

— كيف تحلم أو تتغنى بمستقبل لغلام

وهو يكبر — بين يديك — بقلب منكس ؟

لا تصالح

ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام .

وأرو قلبك بالنم ..
وأرو الخراب المقدس ..
وأرو أسلاك الرافدين ..
الى أن ترد عليك العظام !

(٦)

لاتصالح ،
ولو ناشدتك القبيلة
باسم حزني ، الجميلة ،
أن تسوق الدهاء ،
وتبدي — لمن فصلوك — القبول .
سيقولون :

ها أنت تطلب ثأراً يطول .
فخذ — الآن — ما تستطيع :
قليلاً من الحق ..
في هذه السنوات القليلة .
إنه ليس ثأرك وحدك ،
لكنه ثأر جيل فجيل .

وعهدا ..
سوف يولد من يلبسُ الدرْعَ كاملةً ،
يوقد النارَ شاملةً ،
يطلبُ الثَّأْرَ ،
يستولد الحقُّ ،
من أضلج المستحيل .

لا تصالح ،
ولو قيلَ إن التصالحَ حيلةٌ .
إنه الثَّأْرُ .
نبهتُ شعلتهُ في الضلوع ..
إذا ما توالَّت عليها الفصول ..
ثم تبقى يدُ العارِ مرسومةً (بأصابعها الخمس)
فوق الجباةِ الذليلة ! .

(٧)

لا تصالح ، ولو حفرْتُكَ النجوم
ورمى لك كُهانها بالنبا ..
كنتُ أغفر لو أتنى مِنِّي ..

ما بين خيط الصواب وخيط الخطأ .

لم أكن غانياً ،
لم أكن أنسلل قرب مضاربهم
أو أحوم وراء التخوم
لم أمد يداً لثمار الكروم
أرض بستانهم لم أطأ
لم يصيح قاتلى لى : « اتّبه » !
كان يمشى معى ..

ثم صافحنى ..
ثم سار قليلاً
ولكنه فى الفصون أحباً !
فجأة :

ثَقَبَتْنِي قُشْعِرُهُ بَيْنَ ضُلَمَيْنِ ..
واهتز قلبي — كفقاعة — وانفث .

وتحاملتُ ، حتى احتلمتُ على ساعدى
فرأيتُ : ابن عمى الزنيم
واقفاً يتشفى بوجهٍ ليم

لم يكن في يدي حربة ،
أو سلاح قديم ،
لم يكن غير غيظي الذي يتشكى الظلم .

(٨)

لا تصالح ،
إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة :
النجوم .. لمقايها
والطيور .. لأصواتها
والرمال .. لآرائها
والقتيل لطفاته الناضرة .
كل شيء تحطم في لحظة عابرة :
الصبا — بهجة الأهل حوث الحصان — التعرف بالضيف — مهمة
القلب حين يرى برعماً في الحديقة ينزى — الصلاة لكي ينزل المطر
الموسمي — مراوغة القلب حين يرى طائر الموت
وهو يرفرف فوق المباراة الكاسرة .
كل شيء تحطم في نزوة فاجرة .
والذي اغتالني : ليس رها ..

ليقتلني.. بمشيئته
ليس أبلّ مني .. ليقتلني يسكينتيه ،
ليس أمهر مني .. ليقتلني باستدارته الماكرة

لا تصالّح ،
فما الصلّح إلا معاهدة بين نذنين ..
(في شرف القلب)
لا تَنَقَّصْ

والذى اغتالني مخضُ لصر
سَرَقَ الأرضَ من بين عيني
والصمتُ يُطلقُ ضحكته الساخِرة !

(٩)

لا تصالّح ،
ولو وَقَفْتَ ضِدَّ سَيْفِكَ كُلِّ الشيوخ ،
والرجالِ التي ملأتهما الشروخ ،
هؤلاء الذين يُحِبُّونَ طَعْمَ التَّهْدِ ،
وامتطاء العبيد ،

هؤلاء الذين تدلّت عمائمهم فوق أعينهم ،
 وسيوفهم العريّة قد نسيّت سنوات الشموخ
 لا تصالح ،
 فليس سوى أن ترهّد .
 أنت فارسُ هذا الزمانِ الوحيدِ
 وسواك .. المسوخ !

(١٠)

لاتصالح
 لاتصالح !

نوفمبر • تشرين الثاني • ١٩٧٦

« أقوال الهمامة »

« فلما جاءته الوفود ساعية الى الصلح ، قال لهم الأمير سالم
أصالح اذا صالحت الهمامة . فقصدت الى الهمامة أمها الجليلة ومن معها
من نساء سادات القبيلة ، فدخلن اليها ، وسلمن جميعا عليها ، وقبل
الجليلة بنتها وقالت : أما كفى ؟ فقد هلكت رجالنا وسلمت أحوالنا
وماتت فرساننا وأبطالنا . فأجابتها الهمامة : أنا لا أصالح ، ولو لم يكن
أحد يقدر أن يكافح .. »

(١)

أبى .. لا منهذا
أرهد أنى ، عند بوابة القصر ،
فوق حصان الحقيقة ،
منتصباً .. من جديد

...

ولا أطلب المستحيل ، ولكنت العدل :
هل يرث الأرض الا بنوها ؟
وهل تتناسى البساتين من سكنوها ؟
وهل تتكرر أغصانها للجنور ..
(لان الجنور تهاجر في الاتجاه المعاكس ؟)
هل تترنم قيثارة الصمت ..
الا إذا عادت القوس تذرغ أوتارها القصية ؟
والصنتر ! حتى متى يتحمل أن يحبس القلب ..
قلبي الذى يشبه الطائر الدموى الشريد ؟

... ..

هِيَ الشَّمْسُ ، تَلَكِ الَّتِي تَطْلُعُ الْآنَ ؟
 أَمْ أَتَاهَا الْعَيْنُ — عَيْنُ الْقَتِيلِ — الَّتِي تَتَأَمَّلُ شَاخِصَةً :
 دَمَهُ يَتَرَصَّبُ شَيْئاً فَشِيئاً ..
 وَيَخْضُرُ شَيْئاً فَشِيئاً ..
 فَتَطْلُعُ مِنْ كُلِّ بَقْعَةٍ دَمٌ : فَمُ قَرْمَزَى ..
 وَزَهْرُهُ شَرٌّ ..
 وَكُفَّانٍ قَابِضَتَانِ عَلَى مَنْجَلٍ مِنْ حَدِيدٍ ؟
 هِيَ الشَّمْسُ ؟ أَمْ أَتَاهَا التَّاجُ ؟
 هَذَا الَّذِي يَتَقَلُّ فَوْقَ الرُّؤُوسِ إِلَى أَنْ يَعُودَ
 إِلَى مَفْرَقِ الْفَارِسِ الْعَرَبِيِّ الشَّهِيدِ ؟

أَقُولُ لَكُمْ : أَيُّهَا النَّاسُ كُونُوا أَنَاساً !
 هِيَ النَّارُ ، وَهِيَ اللِّسَانُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالْحَقِّ |
 إِنْ الْجُرُوحَ يَطْهَرُهَا الْكَيُّ ،
 وَالسِّيفُ يُصْقِلُهُ الْكَثِيرُ ،
 وَالْخَبْزُ يُنَضِّجُهُ الْوَهْجُ ،

لاتدخلوا معمدانية المياه ...

بل معمدانية النار ..

كوّنوا لها الخطب المُستَهَيّ والقلوب : الحجارة ،

كوّنوا .. الى أن تعود السماوات زرقاء ،

والصحراء بثولا ..

تسير عليها النجوم محملة بسلال الورود .

... ..

أقول لكم : لا نهاية للثم ..

هل في المدينة يضرب بالبوق ، ثم يظل الجو

على سرير النوم ؟

هل يرفع الفخ من ساحة الحقل .. كي تطمئن العصفور

أن الحمام المطوق ليس يقدم يبيضته للشعابين ..

حتى يسود السلام .

فكيف أقدم رأس أى ثمناً ؟

من يطالبني أن أقدم رأس أى ثمناً .. تمر القوافل آمنة ،

وتبيع بسوق دمشق : حريرا من الهند ،

أسلحة من بخارى .

وتتاع من بيت جالا العبيد ؟

« مراثى الحمامة »

صارَ مراثنا فى يد الغرباء .
وصارت سهوفُ العلو : سقوف منازلنا .
نحنُ عبَادُ دُحسٍ بِشِيرُ بأوراقِهِ نَحْوُ أَرْوَقةِ الظلِّ .
إن التَّوَهُجَ الذى يتطاولُ :
يُحرقُ هامةَ السقفِ ،
يُخرطُ قامةَ السيفِ ،
إن التَّوَهُجَ الذى يتطاولُ :
يسقط فى دَمِهِ المُنْسَكِبِ !
نستقى — بعد خيل الأجانِب — من مِاءِ أبارنا .
صوفَ حملاننا لَيْسَ يَلْتَفُ إلا على مغزلِ الْجَنَّةِ .
النَّارُ لا تَوَهُجُ بَيْنَ مضاربِنَا .
بالمِيونِ الخَفِيفَةِ نَسْتَقْبِلُ الضَّيْفَ .

أبكارنا ثيبات ..
 وأولادنا للفراش ..
 ودراهمنا فوقها صورة الملك المُعْتَصِب .
 أبادى الصبايأ الجنائن تَضُمُّ على صدره نصف ثوب .
 وَبَقِيَ عَيُونُ كَلِيبٍ مَسْمُورَةٌ فى شواشى الجنائن .

أَسْأَلُ :

من للصغار الذين يَطْمَرُونَ — كالتحل — فوق التلال ؟
 ومن للعذارى اللواتى جَعَلْنَ القلوب :
 قواهر تحفظ رائحة البرتقال ؟

ومن سيروص مُهَرَّ الخيال ؟
 ومن سيفضد — فى آخر الصيد — جُرح الغزال ؟
 ومن للرجال ..

إذا قيل : ما نسب القوم ؟ ...
 فانسكبت فى خلود الرمال دموع السؤال ؟
 بنات أى — الزهرات الصغيرات — بسألتنى
 لم أبكى أبى !
 ويمكن مثل ،

ويخلدنَ للتَّوَم حينَ أغالبَ دمعى ،
 وأروى لهنَ الحكايا
 عَنْ المَلِكِ النسرِ
 والمَلِكِ الثعلبِ
 فإنَّ يَمَنَ .. جاءَ أوى .. لِهَزِّ الأراجيحِ ..
 يلمُسُ وجناتهنَّ ..
 ويعطى لهنَّ اللعِبَ ..
 ويمضى .. وعيناهُ مبلتانِ ..
 وساقاهُ تشتكيانِ التعبَ ..
 أبى ظامىء يارجال
 ألهقوا له الدَّمَ كى يرتوى .
 وصبُّوا له جرعةَ جرعةَ فى الفؤادِ الذى يكتوى
 عسى دمه المتسرَّبُ بينَ عروقِ النبائاتِ ،
 بينَ الرمالِ ..
 يعودُ له قطرةَ قطرةَ ..
 فيعودُ له الزمنُ المنطوى .

(٢)

خصومة قلبي مع الله .. ليس سواه
أبى أخذ الملك سيفاً لسيف ، فهل يؤخذ الملك
منه اغتيالاً ،

وقد كللته هذا الله بالتاج ؟ !
هل تُزرع التاج إلا اليدين المباركتين ،
وهل هان ناموسه في البرية
حتى يتوج لصر .. بما سرقته يده ؟
خصومة قلبي مع الله ..

إني أتره سهم منيته أن يحىء من الخليف ،
إن الذي يطلق السهم ليس هو القوس ..
هل قلب صاحبه ،
والذى يجعل النفس تستقبل الموت راضية .. تبلى واهبه
فأنا أرفض الموت غداً ..

فهل نزل الله عن سهمه الذهبي لمن يستهين به .
هل تكون مكان أصابعه .. بصمات الخطاه ؟

خصومة قلبي مع الله .. ليس سواه !

كليبٌ يموت ..
 ككليب تصادفُهُ في الفلاة ؟
 إذن فلماذا كَسَا وجهَهُ الصورةَ الآدميةَ ؟
 هل كَرَّمَ الله أنسائه ؟
 مات من مات كلباً .. فأين إذن ذهبَ الآدمي الذي
 قد براه ؟
 خصومةٌ قلبي مع الله
 قلبي صغيرٌ كفتقهِ الحزنِ .. لكنه في الموازين
 أثقلُ من كفةِ الموتِ
 هل عرفَ الموتُ فقد أبيه ،
 هل اغترفَ الماءَ من جَنَولِ الدَّمعِ ،
 هل لبسَ الموتُ ثوبَ الحِدادِ الذي حاكهُ .. ورماه ؟
 خصومةٌ قلبي مع الله
 أين وريثُ أبي ؟
 ذهبَ الملكُ ،
 لكن لاسمِ أَى حقٍّ أن يتناقله أبهُ عنه
 فكيفَ يموتُ أبي مرتين ؟
 أيتها الأنجمُ المتلونة الوجهِ :

قولى له :

قد سلبت حياتين ..

أبقى حياة ..

وردد حياة ..

خصومة قلبي مع الله .

هذا الكمال الذى خلق الله حياته ،

فكنا العظم بالذبح ،

ما هو : جسماً — يعود له — دون رأس ،

فهو تقبل بوئ. انيب ما شابه العيب ،

أم أن وجه العدالة :

أن يرجع الشلو للأصل ،

أن يرجع البعد للقبل ،

أن ينهض الجسد المتمزق مكتمل الظل

حتى يعود إلى الله .. متحداً في بهاء ؟

(٣)

يجئ أخى

هل عباءة الريح ؟

هل سيفه السبق ؟

هل يتمنطق فوق جوادِ السحاب ؟

يجيء أخى !

غافلاً عن كتاب الموائس

عَنْ دَمِهِ الْمَلَكِيُّ ،

عَنْ الصَّوْلَجَانِ الَّذِي صَارَ مَقْبُضُهُ الْعَاجُ :

رَأْسَ غِرَابٍ !

يجيء أخى .

(كَانَ يَعْرِفُهُ الْقَلْبُ !)

أَقْذَفُ تَفَاحَةً

يَتَصَدَّى لَهَا وَهُوَ يَطْحُتُهَا بِالرَّكْسَابِ !

(هِيَ الْخَطَأُ الْبَشَرِيُّ الَّذِي حَرَّمَ النَّفْسَ فَرَدَوْسَهَا

الْأَوَّلُ الْمُسْتَطَابِ)

أَتْنِي ، فَأَقْذِفُ تَفَاحَةً ..

تَسْتَقِرُّ عَلَى رَأْسِ حَرَبَةٍ !

(أَيْهَا الْوَطَنُ الْمُسْتَدِيرُ .. الَّذِي تَتَقَبُّ الْحَرْبُ عَفْرَتَهُ

بِالْحَرَابِ)

.. وَتَفَاحَةٌ تَتَلَقَّفُهَا يَدُهُ !

(هِيَ جَوْهَرَةُ الْمُلْكِ ،

جَوْهَرَةُ الْعِزْلِ ،

جَوْهَرَةُ الْحُبِّ ..
فَالْحُبُّ آتٍ !)

... ..

قلوبٌ ثلاثيةُ إشارةِ الزمنِ القادمِ المستجابِ
قفُّوا يا شباب !

لَمَنْ جَاءَ مِنْ رَحِمِ الْغَيْبِ ،
تَخَاضَ بِسَاقِيهِ فِي بَرَكَةِ الدِّمِ ،
لَمْ يَتَأَثَّرْ عَلَيْهِ الرِّشَاشُ ،
وَلَمْ تَبْدُ شَائِبَةٌ فِي الثِّيَابِ !

قفُّوا لِلْهَلَالِ الَّذِي يَسْتَدِيرُ ..

لِيَصْبَحَ هَالَاتِ نُورٍ عَلَى كُلِّ وَجْهِ وَهَابٍ !

قفُّوا يا شباب !
كَلِيبٌ يَعُودُ ..

كَعْنَقَاءَ قَدْ أَحْرَقَتْ رِيشَهَا
لَتَظْلُ الْحَقِيقَةُ أَهْبَى ..

وَتَرْجِعُ حَلَّتْهَا — فِي سَنَا الشَّمْسِ .. أَزْهَى ..
وَتَفْرَدُ أَجْنَحَةَ الْغَيْدِ ..

فَوْقَ مَدَائِنِ تَهْضُ مِنْ ذِكْرِيَّاتِ الْخِرَابِ !!

« أشارات تاريخية »

البسوس :

هى المرأة التى أثارت الفتنة بين قيس ، وأشعلت الحرب أربعة سنة ، وأثارت بنى بكر على بنى تغلب ، وحملت اسمها الملاحمة . وهو كما تقول الرواية (شاعرة) عجوز من عجائب الزمان ، ذات مكر واحتيال وخداع) . وكان لها أربعة أسماء (سعاد .. تاج بخت .. هند . البسوس) وهى أخت الملك حسان اليماني الذى قتله الأمير كليب م أجل أنه عمه وخطيبته الجليلة .

كليب بن ربيعة :

اسمه والى وكليب لقبه ، نشأ فى حجر أبيه ، وحرب على للحرب ، ثم تولى قيادة الجيش لبكر وتغلب زما .. فكان ليث الصلح وبننة الليالى كما تقول الرواية .

طيلة بنت مرة :

شاعره .. أخته عم كليب وزوجته التي انجبت له سبعة بنات
ولد بعد موته هو. (المهجرس) البطل المنتقم لأبيه .

وبعد مقتل زوجها كليب على يد أخيها جماس خرجت من
نغلب وتنقلت مع بنى شيان قومها مدة حروبهم حتى ماتت .

سامة :

كبرى بنات كليب .. تقول الرواية انها رفضت الدية في أبيها
فانت تقول :

« أنا لا أصالح حتى يقوم والدى
ونسراه راكب يهد لقاكم »

وقد اقتصت مع امها لانها أخت قاتل كليب .. حتى رحله
الجليلة مع قومها .

ساس بن مرة :

ابن عم لكليب وقتله بعد ان نجحت البسوس (التى اقامت لى يافته) فى أن تثير الفتن : بأن أمرت عبيدها أن يطلقوا ناقةها الجريئة لى فى البستان المعروف بحى كليب . وتدمر الاشجار والاسوار .. نى أمر كليب بذبح الناقة . ويقال أن جساما هو آخر قتيل فى رب البسوس التى استمرت منذ مقتل كليب وحتى مصرع جسام من عاما .

لهل بن ربيعة :

هو سالم الملقب بالزهر أو أبو لى الملهل الكبير .. أخو جب وبطل السيرة والملحمة .. يصفه الرواه : (بالاسد الكرار والبطل انغوار صاحب الاشعار البديعة والوقائع المهولة المريعة) .

عندما أعلنته الجامعة وصية أمها قال : الى لا اصالح الى الابد ما
دامت روحي في هذا الجسد .

« تلخيص »

« حاولت أن أقدم في هذه المجموعة حرب البسوس التي امتدت أربعين سنة عن طريق رؤيا معاصرة .

وقد حاولت أن أجعل من كليب رمزا للمجد العربي القليل في الارض العربية السليبة التي تهدد أن تعود الى الحياة مرة أخرى ولا يتحسب سبيلاً لعودتها أو بالأحرى لاعادتها الا بالدم .. وبالدم وحده ..

وهذه المجموعة عبارة عن قصائد مختلفة ، استحضيت شخصيات الحرب وجعلت كلا منها يدلي بشهادتها التاريخية حول رفعة الخاصة .. ومن الطبيعي أن يكون لكل من هذه الشخصيات شهادته المختلفة عن شهادة الأخرى ..

لقد استحضرت الملك كليب نفسه في ساعاته الأخيرة ، وأدلت بهجامة التي كانت ترفض الصلح بشهادتها وكذلك فعل المهلهل الذي قاد الحرب انتقاماً له .. وقدمت شهادة جماس مع تبهراته لجرمته ثم

شهادة جليلة بنت مرة المحرقة بين البطالين .. « زوجها وأخيها » ثم أنهت
بشهادات لبعض الشخصيات التي تلعب دوراً معلقاً على
الأحداث ..

أمل دنقل

عن مجلة آفاق عربية ١٩٨١

والديوان بصورته، الأخيرة هذه .. يحتوى على شهادتين جو
قصيدتين فقط هما : « الوصايا العشر » ، وأقوال الهمامة ومراثيها ، وقد
كُتبت قصائده ما بين (١٩٧٦ - ١٩٧٧) .

أما الشهادات (القصائد) الأخرى التى تحدث عنها أمل فقد
ظلت تبديل وتغير يوما بعد آخر ، رافضة الوصول إلى حل يقنع
الشاعر باكتمالها النهاى ، ذلك على الرغم من اكتمال اجزاء كثيرة منها في
ذاكرة الشاعر (الذى لا يسجل قصيدته على الورق إلا بعد أن يقنع
باكتمالها الأحرى)

ومات أمل قبل أن تكمل شهاداته (قصائده) في ذمت
المبدع ، وقبل أن يقنع ذهنه المبدع بصيغه ابتداعية أخيرة ، وقبل أن
ينتقم الزهر لمقتل أخيه كليب ، وقبل أن تفضح الحروب لوزارها ، لتظل
الرثا باحثة عن حل يكمل في الابداع ، أو يتحقق في الواقع .

* * *

أوراق الغرفة [٨]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عم صباحاً أيها الصقر المَجْنَح
عم صباحاً .
سنة تمضي ، وأخرى سوف تأتي .
فمتى يقبل موتى ..
قبل أن أصبح — مثل الصقر —
صقراً مستباحاً ؟!

بكائية لصقر قريش

الورقة الأخيرة الجنونى

صورة
هل أنا كنت طفلاً ..
أم ان الذى كان طفلاً سوى ؟
هذه الصور العائلية ..
كان أى جالساً ، وأنا واقف .. تتدلى يداى !

رفسة من قرس
تركت لى جينى شجاً ، وعلمت القلب أن يحترس .
أتذكر ...
سال دمي
أتذكر ..
ملت أى نازفاً .

أتذكرُ ..
هنا الطريقُ إلى قبره ..
أتذكرُ ..
أختي الصغيرة ذات الريعين .
لا أتذكر حتى الطريق إلى قبرها
المنطمسَ

أو كان الصبيُّ الصغيرُ أنا ؟
أم ترى كان غري ؟
أحلفُ ..

لكن تلك الملامح ذات العنوية .
لا تنتمي الآن لي .
والعيون التي تترقق بالطيبة
الآن لا تنتمي لي .
صرْتُ عنى غريبا .
ولم يتبق من السنوات الغريبة
إلا صدى اسمي ..

وأسماء من أذكركم — فجأة —
بين أعمدة النعْي ،
أولئك الغامضون : رفاق صباي .
يقبلون من الصمت وجهاً فوجها ..
فيجتمع الشملُ كلُّ صباحٍ ،
لكي نأتنس .

وجه

كان يسكن قلبي
وأسكن غرفته
نتقاسم نصف السرير ،
ونصف الرغبة ،
ونصف اللقافة ،
والكتب المستعارة .

هجرته حبيبته في الصباح فمزق شريانه في المساء ،
ولكنه بعد يومين مزق صورتها ..
واندهش .

لم يَنخَدِشَ .
واستراح من الحرب ..
عاد ليسكن بيتاً جديداً
ويكسب قوتا جديداً
يدخن علبة تبغ بكاملها
ويجادل أصحابه حول أجرة الشاي ..
لكنه لا يطيل الزيارة :
عندما احتقت لوزته ، استشار الطبيب ،
وفي غرفة العمليات ..
لم يضطرب أحداً غير خُفٍّ ..
وأنبوبة لقياس الحرارة ،
فجأة مات !
لم يحتمل قلبه سريان المخدر ،
وانسحبت من على وجه سنوات العذابات ،
عاد كما كان طفلاً ..

بشاركتنى فى سرى
وفى كسرة الخبز ، والتبغ ،
لكنه لا يشاركنى .. فى المرارة !

وجه

من أقاصى الجنوب أنى ، عاملاً
للبناء
كان يصعد « سقالة » ويفنى لهذا الفضاء
كنت أجلس خارج مقهى قريب ،
وبالأعين الشاردة ..
كنت أقرأ نصف الصحيفة ،
والنصف أخفى به وسخ المائدة .
لم أجد غير عيين لا تبصران ..
وخيط الدماء .
وانغثت عليه .. أجس يده
قال آخر : لا فائدة

صار نصف الصحيفة كل الغطاء
وأنا .. في العراء

وجه

ليت ه أسماء ه تعرف أن أباه صعد
لم يمث
هل يموت الذي كان يحيا
كأن الحياة أبد !
وكان الشراب نفذ !
وكان البنات الجميلات يمشين فوق الزبد !
عاش منتصباً ، بينما
ينحنى القلب يبحث عما فقد .
ليت ه أسماء ه تعرف أن أباه الذي ..
حفظ الحب والأصدقاء تصاويره :.
وهو يضحك ،

وهو يفكر ،
وهو يفتش عما يقيم الأود .
ليت « أسماء » تعرف أن الثبات الجميلات ..
تجأنه بين أوراقهن ،
وعلمته أن يسير ..

ولا يلتقى بأحد !



مرآة

— هل تريد قليلاً من البحر ؟
— إن الجنوى لا يطعمن إلى اثنين يا سيدى :
البحر — والمرأة الكاذبة .
— سوف آتيك بالرمل منه
... وتلاشى به الظل شيئاً فشيئاً ،
فلم أستبته
— هل تريد قليلاً من الخمر ؟
— إن الجنوى يا سيدى يتهيب شيئين :

قنينة الخمر — والآلة الحاسبة .
— سوف آتيتك بالثلج منه .
وتلاشى به الظل شيئاً فشيئاً ...
فلم أستبته .

بعدها لم أجذ صاجي
لم يعد واحد منهما لى بشئ
— هل تريد قليلاً من الصبر ؟
— لا ..

فالجنوى يا سيدى يشئى أن يكون الذى لم يك
يشئى أن يلاقى اثنتين :
الحقيقة — والأوجه الغائبة .

في عُرف العمليات ،
كان نقابُ الأطباء أبيض ،
لونُ المعاطف أبيض ،
تاجُ الحكيمات أبيض ، أرديةُ الراهبات ،
الملاءاتُ ،
لونُ الأسرة ، أربطةُ الشاش والقطن ،
قرصُ النوم ، أنبوبةُ المصل ،
كوبُ اللبن .
كلُّ هذا يشيعُ بقلبي الوهن .
كلُّ هذا البياض يذكرني بالكفن !
فلماذا إذا متُّ ..

بأنى المعزُون متشحين ..
بشارات لون الحداد ؟
هل لأن السواد ..
هو لونُ النجاة من الموت ،
لون التَّحِيمةِ ضد .. الزمن ،

ضد من .. ؟
ومتى القلب — فى الخفقان — اطمأن ؟!

بين لونين : أستقبل الأصدقاء ..
الذين يرون سريرى قبرا
وحياتى ... دهرا

وأرى فى الميون العميقة
لونَ الحقيقةِ
لونَ تراب الوطن !

وسلاي من الورد ،
ألحها بين إغفاءة وإفاقة
وعلى كل باقة
اسم حاملها في بطاقة

... ..

تحدث لي الزهراء الجميلة
أن أعينها اتسعت — دهشة —
لحظة القطيف ،
لحظة القصيف ،

لحظة إعدامها في الخميعة !
تحدث لي ..
أنها سقطت من على عرشها في البساتين

ثم أفافت على عَرْضِها في زجاج الدكاكين ، أو بين أيدي
النادين ،

حتى اشترتها ، اليَدُ المفضلةُ العابرةُ
تحدث لي ..

كيف جاءت الي ..

(وأحزائها الملكية ترفع أعناقها الخضر)

كي تمنى لي العمر !
وهي تجود بأنفاسها الآخرة !!

كلُّ باقة ..

بين إغماءٍ وإفاقة

تنفس مثلي — بالكاد — ثانية .. ثانية

وعلى صدرها حَمَلت — راضية ..

اسمَ قاتِلها في بطاقة !

أوهمنى بأن السريـر سريـرى !

أن قارب « رغ »

سوف — يحملنى عبر نهر الأفاعى

لأولـد فى الصبح ثانية .. إن سَطَنَ

(فوق الورقِ المصقولِ

وضعوا رقمى دون اسمِ

وضعوا تذكرةَ اللـمِ

واسمَ المرضِ المجهولِ)

أوهمنى فصَلْتُ ..

(هـلـا السريـرُ

ظننى — مثله — فاقدَ الروحِ

فالتصقت بى أضلاعهُ
والجمادُ يضمُّ الجمادَ ليحييهُ من مواجهةِ الناسِ !)
صيرتُ أنا والسريرُ ..
جسداً واحداً .. فى انتظارِ المصيرِ !

(طولُ الليالِ الألفُ
والأفرعُ المعدنُ
تلتفُّ وتمكنُ
فى جسدى حتى النزفُ

صيرتُ أقدراً أن أتقلبَ فى نومتى واضطجاعى
أن أتحركَ نحو الطعامِ ذراعى ..
واستبان السريرُ خداعى ..
فارتعش !
وتداخل — كالقنفذِ الحجرى — على صمته وانكماشُ
قلتُ : يا سيدى .. لمَ جافيتى ؟
قال : ها أنتَ كلمتى ..
وأنا لا أجهبُ الذين يمرون فوق

سوى بالانين
فالأسرة لا تستريح إلى جسد دون آخر
الأسرة دائمة
والذين ينامون سرعان ما ينزلون
نحو نهر الحياة لكي يسبحوا
أو يغوصوا بنهر السكون !

لعبة النهاية

في الميادين يجلس ،
يطلق — كالطفل — نبلته بالحصي ..
فيصلي بها من يصيب من السابلة !

يتوجه للبحر ،
في ساعة المَدَّ :
يطرح في الماء سنارة الصبد ،
ثم يعود ..
ليكتب أسماء من علقوا
في أحاييله القاتلة !
لا يحبُّ البساتين ..

لكنه يتسلل من سورها المتآكل ،
يصنع تاجاً :

جواهرُهُ .. الثمرُ المتعفنُ ،
إكليلُهُ .. الورق المتفصنُ ،
يلبسه فوق طوق الزهورِ

الخريفية
الذابلة !

يتحول : أفعى .. ونايا
فهرى فى المرايا ::
جسدين وقلبين متحدَيْن ،
(تَغِيْمُ الزوايا
وتَحْكِي العيونُ حكايا)
فينسل بينهما ..
مثل خيط من العرق المتفصّد ،
يلعقُ دفءَ مسامهما ،
يغرسُ النَّابَ فى موضع القلبِ :
تسقط رأسُ الفتى فى الغطاء ،

وتبقى الفتاة ..

محلقة

ذاهلة .. !

أمس : فاجأته واقفا بجوار سريري

ممسكاً — بيد — كوب ماء

ويد — بحبوب اللواء

فتاولتها .. !

كان مبتسماً

وأنا كنت مستسلماً

لمصري !!

(١)

تساقط أوراق • ديسمبر • الباهة !

... ..

هو غمّر من الريح
(هذا الذى بين أن تترك الورقة النصف
حتى تلامس أطرافها حافة الأرض)
غمّر من الاضطراب
فافترشن جوارى — أيتها الباحثات عن الذات —
وجه التراب
وتعالين .. نرو الأفاصيص ..
عن راحة الروح

عن لذة الاغتراب
وعبودية الأغصن الثابتة .

(٢)

أخذوا أصدقائي للسجن ،
لكنهم في ليالى الحنين
يقبلون ، لشرب كأسين ..
في البار ذى الردهة الخالية
فاذا دقت الساعة الثانية
صفق الخدم المتعبون
فاختفى أصدقائي وهم يضحكون
— نلتقى ثانية
— نلتقى الليلة التالية ..

... ..

بعدها خرجوا : انقطع الخيط ما بيننا
واستطال السكون
كان ما بينهم : ذكريات .. وخبز مرير
ومسحة حزن

قلت : ها أصبحوا ورقا ثابتا لي شجرة سجن

فمتى يفلتون

من الزمن المتوقف لي ردهات الجنون ؟

(٣)

هاهو الرُّخ ذو المخلين يحوم ..

ليحمل جثة ديسمبر الساخنة

ها هو الرخ يهبط ..

والسحب تلقى على الشمس طرحها الداكنة

قالت الراهبات :

(سلامٌ على الأرض !)

يا أيها الرُّخ : كم جثة حملتها مخالفك الأبدية خلف الجبل ؟؟

ما الذى نحن نعطيك — يا أيها الرخ — منذ الأزل ؟

ما الذى نحن نعطيك ؟

لا شيء إلا تواييت ، لا شيء ،

إلا المبادلة الخائبة .

جثت تراكم في الضفة الساكنة

بينما نحن — نمتلك النور
 عشبَ البحيرات — صوت الكناريات —
 مجالسةُ الورد — أنشودةُ المهد — رقصُ
 البنات الصغيرات في العرس — تمتمةُ
 القط في الصلوات — محرّ البنايع —
 هذا التساؤل عن لون عيني عاشقتين ،
 كناقذتين على البحر — طعمُ القبل ؛
 بينما أنت من ظلمة العدم الآمنة
 تتلقى النفاياتِ تلو النفاياتِ دون كللٍ
 عاجزا عن ملامسةِ الفرح العذب ،
 عن أن نبل جناحك في مطر القلبِ
 أن تتظهر بالرقّة الفاتنة !!

(٤)

قلت للورق المتساقط من ذكريات الشجر
 إنني أترك الآن — مثلك — بيتي القديم
 حيث تلقى بى الريحُ أرسو —

وليس معي غيرُ :

حزنى المقيم
وجوازُ السفرِ !

(١)

الطيور مشردة في السموات ،
ليس لها أن تحط على الأرض ،
ليس لها غير أن تتقاذفها فلوأث الرياح !
ربما تنزل ...

كى تسريخ دقائق ..
فوق النخيل — النجيل — التماثيل —
أعمدة الكهرباء —

حواف الشبايك والمشريات
والأسفنج الخرسانية .
(اهدأ ، ليلتقط القلب تنيدة ،

والقمم العذب تغريدة ،
والقط الرزق ..)
سرعان ما تتفرع ..
من نقلة الرجل ،
من نبلة الطفل ،
من ميالة الظل عبر الحوائط ،
من حصوات الصباح !

الطيور معلقة في السموات
ما بين أنسجة العنكبوت الفضائي : للريج
مرشوقة في امتداد السهام المضيئة
للشمس ،
(رفرِف ..
فليس أمامك —
والبشر المستيحيون والمستباحون : صاحون —
ليس أمامك غير الفراز ..
الفراز الذى يتجدد .. كل صباح !)

(٢)

والطيورُ التي أقعدتها مغالطةُ الناسِ ،
مرّت طمأنينةُ العيش فوق مناسيرها ..
فانتخت ،
وبأعينها .. فارتخت ،
وارتضت أن تقاىء حول الطعام المتأخ
ما الذى يبقى لها .. غير سَكينةِ الذبيح ،
غير انتظارِ النهاية .
إن اليدَ الآدميةَ .. واهبةَ القمح
تعرف كيف تسن السلاح !

(٣)

الطيورُ .. الطيورُ
تحتوى الأرضُ جثائها .. فى السقوطِ الأخير !
والطيور التى لا تطير ..
ضوت الرمش ، واستسلمت
هل تُرى علمت
أن عمر الجناح قصير .. قصير ١٢

الجنّاحُ حياة
والجنّاحُ ردى .
والجنّاحُ نجاة . .
والجنّاحُ .. سدى !

الخيول

(١)

الفتوحات — فى الأرض — مكتوبة بدماء الخيول .
وحدود الممالك
رسمتها السنايك .
والركابان : ميزانُ عدلٍ يميل مع السيف ..

حيث يميل !

... .

أركضى أو قفى الآن .. أينها الخيلُ :
لست المغرأتِ صُبُحا
ولا العاديات — كما قيل — ضُبُحا

ولا خضرة في طريقك تمحى
ولا طفل أضحى
إذا ما مررت به .. يتنحي ؛
وما هي كوكبة الحرس الملكى ..
تجاهد أن تبعث الروح في جسد الذكريات
بدق الطبول .

اركض كالسلاحف
نحو زوايا المتاحف ..
صمى تمثيل من حجر في الميادين
صمى أراجيح من خشب للصغار — الراحين ،

صمى فوارس حلوى بموسمك النبوى ،
وللصبة الفقراء : حصاناً من الطين
صمى رسوما .. ووهماً
تجف الخطوط به
مثلما جف — في رثيمك — الصهيل !

(٢)

كانت الخيلُ — في البدء — كالناس

برية تتراكم عبر السهول

كانت الخيل كالناس في البدء ...

تمتلك الشمس والعشب

والملكوت الظليل

ظهرها .. لم يوطأ لكي يركب القادة الفاتحون ،

ولم يلمن الجسد الحر تحت سياط المروض

والقم لم يمثل للجام ،

ولم يكن الزاد .. بالكاد ،

لم تكن الساق مشكولة ،

والخوافر لم يك بثقلها السبك المعدني الصقيل .

كانت الخيل برية

تنفس حرة

مثلما يتنفسها الناس

وفي ذلك الزمن الذهبي النبيل

• • •

أركضى .. أو قفى

زمن يتقاطع

واخترت أن تذهبي في الطريق الذى يتراجع

تنحدر الشمس

ينحدر الأمسى

تنحدر الطرق الجبلية للهوة اللانهاية :

الشهب المتفحمة

الذكريات التى أشهرت شوكرها كالفنايفذ

والذكريات التى صلخ الخوف بشرتها .

كل نهر يحاول أن يلمس القاع

كل البنايع إن لست جدولاً من جداولها

تختفى

وهى .. لا تكتفى !

فأركضى أو قفى

كل درب يقودك من مستحيل إلى مستحيل !

(٣)

الخيوّل بساطً على الريح ..
سار — على مته — الناسُ للناسِ عبر المكانِ
والخيوّل جدارٌ به انقسم
الناسُ صنفين :

صاروا مشاةً .. وركبانُ
والخيوّل التي انحدرت نحو هوةٍ نسيانها
حملت معها جيلَ فرسانها
تركت خلفها : دمةً الندم الأبدى
وأشباحَ خيل
وأشياءَ فرسان

ومشاةٌ يسرون — حتى النهاية — تحت ظلالِ الهوان .

أركضى للفرارِ
واركضى أو قفى فى طريقِ الفرارِ .
تساوى محصلةُ الركضِ والرفضِ فى الأرضِ ،

ماذا تبقى لك الآن ؟

ماذا ؟

سوى عرق يتصبّب من تعب

يستحيل دنائير من ذهب

في جيوب هُؤاةٍ سلالاتك العربية

في حلبات المراهنة الدائرية

في نزهة المركبات السياحية المشتهية

وفي المتعة المشتراة

وفي المرأة الأجنبية تعلوك تحت

ظلال أوى الهول ..

(هذا الذي كسرت انفه

لعنة الانتظار الطويل)

استدارت — إلى الغرب — مزولة الوقت

صارَت الخيلُ ناساً تسيرُ إلى هُؤاةِ الصمتِ

بينما الناسُ خيلٌ تسيرُ إلى هوةِ الموتِ !

مقابلة خاصة مع ابن نوح

جاء طوفانُ نوح !

... ..

المدينةُ تفرقُ شيئاً .. شيئاً

تفرُّ العاصفُ ،

والماءُ يعلو .

على درجات البيوت — الحوانيت — مبنى البريد —

التمثيل (أجدادنا الخالدين) — المعابد — أجولة القمج .

مستشفيات الولادة — بوابة السجن — دار الولاية —

أروقة الكنائس الحصينة .

العاصفُ تجلو ..

رويداً ..

رويداً ..

ويطفو الإوزُ على الماء ،
 يطفو الأثاث ..
 ولعبةُ طفل ..
 وشهقةُ أم حزينه
 الصبايا يلوّحن فوق السطوح !
 ناء طوفانُ نوح .
 ا هم ه الحكماء ه يفرّون نحو السفينة
 المغنون — سائسُ خيل الأمير — المرابون —
 قاضي القضاة
 .. ومملوكُهُ ا —
 حاملُ السيف — راقصةُ المعبد

(ابتهجّت عندما انتشلتُ شعرها المستعار)
 - جباةُ الضرائب - مستوردو شحناتِ السلاح -
 شقيقُ الأميرة في سمته الأثوى الصبوح ا
 ناء طوفان نوح .
 ما هم الجبناء يفرّون نحو السفينة .
 بما كنتُ ..
 كان شبابُ المدينة

يلجمون جوادَ المياهِ الجموحِ
ينقلون المياهَ على الكتفين .
ويستبقون الزمنَ
يبتنونَ سدودَ الحجارةِ
عَلَّهْمُ ينقذونَ مهَادَ الصبا والحضارةِ
عَلَّهْمُ ينقذونَ .. الوطنَ !

.. صاحِ في سيدِّ الفلكِ — قبل حلولِ
السكينةِ :
« انجُ من بلدٍ .. لم تعد فيه روحُ ! »

قلتُ :

طوبى لمن طعموا خبزه ..
في الزمانِ الحسنِ
وأداروا له الظهرَ
يومَ المحنِ !
ولنا المجد — نحن الذين وقفنا
(وقد طمسَ الله أسماءنا !)

نتحدى الدمار ..
ونأوى إلى جبل لا يموت

(يسمونه الشعب !)

نأى الفرار ..

ونأى النزوح !

... ..

... ..

... ..

كان قلبي الذى نسجته الجروح
كان قلبي الذى لعتته الشروخ
يرقد — الآن — فوق بقايا المدينة
وردة من عطن
هادئاً ..

بعد أن قال : لا ، للسفينة
.. وأحب الوطن !

خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين

ها أنتَ تترخى أخيراً ..
فوداعاً ..

يا صلاح الدين .
يا أيها الطبلُ البدائيُّ الذي تراقصَ الموتى
على إيقاعهِ المجنون .
يا قاربَ القلْبين
للغرب الغرق الذين شتتَهُم سفنُ القراصنة .
وأدركتهم لعنة الفراعنة .
وسنةً .. بعد سنة ..
صارَتْ لهم « حطين » ..
نميعةَ الطفل ، واكسيرَ الغدِّ العنين

(جبل التوباد حيّاك الحيا)
(وسقى الله ثرانا الأجنى !)

مَرَّتْ خيولُ التُّركِ
مَرَّتْ خيولُ الشُّركِ
مَرَّتْ خيولُ الملك — النِّسر ،
مَرَّتْ خيولُ التبرِ الباقيْنِ
ونحن — جيلا بعد جيل — في مبادين المراهنة
نموت تحت الأحصنة !
وأنت في المذيع ، في جرائد التهوين
تستوقف الفارين
تخطب فيهم صائحا : ه حطين ..
وترتدى العقال تارة ،
وترتدى ملايس الفدائيين
وتشربُ الشاي مع الجنودِ
في المعسكرات الخشنة
وترفع الراية ،

حتى تسترد المدن المرتهنة
وتطلق النار على جوادك المسكين
حتى سقطت — أيها الزعيم
واغتالتك أيدي الكهنة !

(وطني لو شُغِلْتُ بالخلد عنه ..)
(نازعتي — لمجلس الأمن — نفسي !)

نَمْ يا صلاح الدين
نَمْ .. تتدلى فوق قبرك الورود ..
كالمظليين !
ونحن ساهرون في نافذة الحنين
نُقشُّ التفاح بالسكين
ونسأل الله : القروض الحسنة !
فأتمنّى :
آمين .

بكائية لصقر قريش

عَمَ صباحاً .. أيها الصقرُ المُجنِّحُ
عَمَ صباحاً ..
هل ترقبتَ كثيراً أن ترى الشمسَ
التي تغسلُ في ماءِ البحيراتِ الجراحا
ثم تلهو بكراتِ الثلجِ ،
تستلقى على التربة ،
تستلقي .. وتُنفِّخُ !
هل ترقبتَ كثيراً أن ترى الشمسَ .. لتفرخَ
وتسدَّ الأفقَ للشرقِ جناحاً ؟
أنت ذا باقٍ على الراياتِ .. مصلوباً .. مباحاً

تصترّ الريحُ ؛ وأضلاعُك كالروضِ المُصَوَّخِ
تشهى لذغةِ الشمسِ التى تنسج للدفءِ وشاحا !

أنت ذا باقى على الرايات مصلوبها .. مباحا
— « اسقنى .. »

لا يرفع الجنْدُ سوى كؤبِ دم .. مازال يسفح !
— « اسقنى .. »

— هاك الشرابَ النبوى ..

اشربةً عذبا وقراحا

مثلما يشربه الباكُون ..

والماشون فى أنشودةِ الفقيرِ المسلَّحِ !

— « اسقنى .. »

لا يرفع الجنْدُ سوى كؤبِ دم مازال يسفح !

بينما « السادة » فى بوايةِ الصمتِ المملج

يتلقون الرياحا

ليلفوها بأطرافِ العباءاتِ ..

يدقوا فى ذراعِها المساميرَ ..

وتبقى أنت

(ما بين خيوط الوشي)

زراً ذهبياً

يتأرجح !

وقف • الأغرَاب • في بواية الصمت المملح

يشهرون الصلَفَ الأسودَ في الوجهِ سلاحاً

ينقلون الأرضَ : أكياساً من الرمل .

وأكداساً من الظل

على ظهر الجوادِ العربيِّ المُتَرَّخِ !

ينقلون الأرضَ ..

نحو الناقلاتِ الراسياتِ — الآنَ — في البحرِ

التي تنوى الرواحا

دون أن تطلقَ في رأسِ الحصانِ

طلقةَ الرحمةِ ،

أو تمنحه بعضَ امتنانٍ !

عِمْ صباحاً أيها الصقرُ المُجَنِّحُ

عِمْ صباحاً.

سنة تمضي ، وأخرى سوف تأتي .
فمتى يقبل موتى ..
قبل أن أصبح — مثل الصقر —
صقراً مستباحاً ؟!

قالت امرأة في المدينة

(١)

سيف جدى على حائط البيت .. يبكى :
وصورته في ثياب الركوب !

(٢)

قالت امرأة في المدينة
من ذلك الأموى الذى يتباكى على دم عثمان !
من قال إن الخيانة تنجب غير الخيانة ؟
كونوا له يا رجال ..
أم تحبون أن يتفأ أطفالكم تحت
سيف ابن هند ؟

... ..

ربما ردت الريح — سيدتي — نصف رد
ضاع .. وابتلعت الرمال ا
نحن جيل الحروب ..
نحن جيل السباحة في الدم ..
ألفت بنا السفن الورقية فوق ثلوج العلم
(قبضات القلوب —

وحدها — حطمتها .. ومازال فيها الأسى والنلوب ..)

نحن جيل الألم
لم تر القدس إلا تصاوير
لم نتكلم سوى لغة العرب الفاعين
لم نتسلم سوى راية العرب النازحين ،
ولم نتعلم سوى أن هذا الرصاص
مفاتيح باب فلسطين

فاشهد لنا يا قلم
أنا لم ننم
أنا لم نقف بين « لا » و « نعم »

ما أقل الحروف التى يتألف منها اسمٌ ما ضاع من وطنه ،
واسمٌ من مات من أجله

من أخٍ أو حبيبٍ !
هل عرفنا كتابةً أسمائنا بالمدادِ
على كتبِ الدرس ؟
ها قد عرفنا كتابةً أسمائنا

بالأظافرِ فى غرفِ الحبسِ

أو بالدماء على جيفة الرمل والشمس ،
أو بالسوادِ على صفحات الجرائد قبل الأخيرة .
أو بمداد الأرامِل فى ردهاتِ (المعاشاتِ) ،
أو بالفبار الذى يتوالى على الصورِ
المنزلية للشهداءِ
الفهارِ الذى يتوالى على أوجه الشهداء ..
إلى أن .. تغيب !!

قالت امرأة فى المدينة :
من يجرؤ الآن أن يخفضَ العلمَ انقرمزي
الذى رفعتَه الجماجمُ ،
أو يبيعَ رغيفَ اللحم الساخن المتخثر فوق الرمال .

أو يمدّ يداً للعظام التي ما استكانت
(وكانت رجال ..)
كي تكون نوائم مائدة للتواقيع
أو قلماً
أو عصا في المراسم ؟

... ..

لم يجيبها أحد ..
غير سيفٍ قديم ..
وصورة جد !

إلى محمود حسن إسماعيل في ذكره

واحدٌ من جنودك يا سيدى .
قطعوا يوم مؤتةً منى اليدين
فاحتضنتُ لواءك بالمرفقين
واحتسبتُ لوجهك مُستشهدى !

واحدٌ من جنودك — يا أيها الشعرُ —
هل يصلُ الصوتُ ؟
(والريحُ مشدودةٌ بالمسامير !)
هل يصلُ الصوتُ ؟
(والعصافيرُ مرصودةٌ بالتواطير !)

هل يصل الصوت ؟
 أم يصل الموت ؟
 قل لي ، فإني أناديك
 من زمن الشعراء — الأناشيد
 للشعراء — السجاجيد
 من زمن الشعراء — الصعاليك
 للشعراء — المماليك .
 أرسم دائرة بالطباشير
 لا أتجاوزها !
 كيف لي ؟ وأنا أتمزق ما بين رُحَيْن !
 والقدمان معلقتان بفخين !
 أعباني الكرُّ والفرُّ
 واجتازني الخيرُ والشرُّ
 أهيز . تيسرُ ، حتى تعسرُ ، حتى تعثرُ .
 أهيئ . تيمُنُ ، حتى تيمُمُ ، حتى تيمتُ .
 أين المقرُّ ؟ وأين المقرُّ ؟
 للخفافيش أسماؤها التي تتسمَّى بها !
 فلمن تتسمَّى إذا انتسب النور !

والنورُ لا ينتمى الآن للشمس
فالشمسُ هالائها تتحلّق فوق العقالات .
هل طلع البدرُ من يرب أم من الأحمدى ؟
وبانت سعادُ .:

تراها تبينُ من البردة النبوية
أم من قلنسوة الكاهنين الحَزْرُ ؟
واحدٌ من جنودك يا سيدى

ألف بيتٍ ويث ..
واحتوتك الكويث !
فعرفت بموتك أين غدى !

واحدٌ من جنودك — يا أيها الشعرُ — !
كلُّ الأحياءِ يرتحلون
فترحل شيئاً فشيئاً من العين ألفةً هذا الوطنُ
تغربُ في الأرضِ . نصبحُ أغربةً في التآيين ننعى
زهورَ البساتين
لا تترقب في صحيفِ اليوم إلا أمام العناوين
مروها دون أن يطرف الجفنُ .

سرعان ما نفتح الصفحات قبيل الأخيرة ،
ندخلُ فيها نجالسُ أحرفها ،
نعود لنا ألفةُ الأصدقاء ، وذكرى الوجوه
نعود لنا الحيوة ، والدمعةُ القرضيةُ
واللونُ ، والأمنُ ، والحزنُ .
هذا هو العالمُ المتبقى لنا : إنه الصمتُ
والذكرياتُ ، السوادُ هو الأهلُ والبيتُ .
إن البياضَ الوحيدَ الذى نرتجيه
البياضَ الوحيدَ الذى نتوحدُ فيه :

بياضُ الكفن !

واحدٌ من جنودك يا سيدى
خبزه خُبزٌ ضيقُ
ماؤه بل ريقُ

والمماتُ بعينه كالمولودُ

واحدٌ من جنودك يا سيدى
يركع الآن ينشدُ جوهرَةً تتخبأُ فى الوحلِ
أو قمرأُ فى البحيراتِ ،
أو فرساً نافراً فى الغمامِ .

ها هو الآن ، لا نهر يفصل فيه الجروح
وينهل من مائه شربة تمسك الروح
لا منزل لا مقام
فعلى الراحلين السلام
والسلام على من أقام .

• تدويل •

يضم هذا الديوان القصائد الأعجمية التي كتبها أمل دنقل (١٩٤٠ — ١٩٨٣) طوال فترة مرضه الذي صارعه أربع سنوات . من أوائل صيف ١٩٧٩ إلى أواخر مايو ١٩٨٣ . ولم نجد لهذا الديوان عنوانا أكثر صدقا من « أوراق الغرفة (٨) » ، فالديوان يتطوى على أوراق أمل الأعجمية ، والغرفة رقم (٨) هي آخر الغرف التي قادم فيها أمل مرضه ، لقراءة علم ونصف ، في الدور السابع من المعهد القومي للأورام ، من فبراير ١٩٨٢ إلى يوم رحيله الساعة الرابعة من صباح السبت ، الحادي والعشرين من مايو ١٩٨٣ .

و « الجنون » هي الورقة الأولى في هذا الديوان ، ولكنها الورقة الأعجمية في رحلة إبداع أمل دنقل ، فقد كتبت في فبراير ١٩٨٣ ، وتتطوى على رها النهاية التي أكملت دارها ، بعد تأملات الغرفة (٨) عام ١٩٨٢ ، تلك التأملات التي صاغها قصائد : « ضد من » ، و « زهور » (وكانت الكتابة النهائية لكلتيهما في مايو ١٩٨٢) و « لعبة النهاية » (الكتابة النهائية في يونيو ١٩٨٢) و « السرير » (نوفمبر ١٩٨٢)

وهناك قصائد أخرى — في هذا الديوان تنتمي إلى تاريخ مقارب ، منها « الطيور » و « الخيول » ، وقد كتبت كلتاها عام ١٩٨١ ، ولكن أمل ظل يغير بهدئل فيها — كعادته في الحرص على أقصى درجات الدقة اللغوية ، وأقصى درجات التجانس البنائي — إلى أن أستر على الصياغة الأخيرة للطيور في أكتوبر من العام الماضي ، والصياغة الأخيرة للخيول في أواخر ديسمبر من العام نفسه . وحل العكس من هاتين القصيدتين ، مازالت قصيدته في الذكرى الرابعة لعمود حسن إسماعيل — إبريل ١٩٨١ — تنتظر اللمسة الأخيرة ، ولم يملك سوى أن يستخلصها من آخر مسوداتها .

أما بقية قصائد هذا الديوان فترجع إلى فترة زمنية تمتد من عام ١٩٧٥ . لا يخل هذه القصائد كل ما كتبه أمل دنقل في الرحلة السابقة على مرضه ، ولكنها كثر مولجته السيدة زوجته — عبلة الرزاني — من قصائد هذه المرحلة إتساقاً مع الدلالات الأساسية التي ينطوي عليها هذا الديوان .

قصائد متفرقة

إلى صديقة دمشقية

إذا سباكِ قائدُ التار
وصرتِ محظية ...
فشد شعرا منك في سعار
وافترض عذرية ..
واغرورقت عيونك الزرق السماوية
بدمعة كالصيف ، ماسية
وغبت في الأسوار ؛
فمن ترى يفتح عين الليل بابتسامة النهار ؟

• • •

مازلت رغم الصمت والحصار
اذكر عينيك المضيئتين من خلف الخمار
وبسمة الثغر الطفولية ..
اذكر امسياتنا القصار
ورحلة السفح الصباحية
حين التقينا نضرب الأشجار
ونقذف الأحجار
في مساء فسقيه ا

• • •

قلت — ونحن نسلل الأستار
في شرفة البيت الأمامية :
لا تبتعد عني
أنظر الى عيني
هل تستحق دموعاً من أدمع الحزن ؟

ولم أجبك ، فالمباخر الشامية
والحب والتذكار
طففت على لحنى
لم تبق منى وهم ، أغننه ا
وقلت ، والصمت العميق تدقه الأمطار
على الشوارع الجليدية :
عدتُ إليك .. بعد طول التيه فى البحار
أدفن حزنى فى عير الخصلات الكستائية
أسمر فى جناتك الخضر الربيعية
أهل ريق الشوق من غدرانها ،
أغسل عن وجهى الغبار !!
نافحتُ عنك قائد التار
رشقتُ فى جواده .. مدهة
لكننى خشيت أن تمسك الأخطار
حين استحالت فى الدجى الرؤية
لذا استطاع فى سحابة من الغبار
أن يخطف العنقاء .. تاركاً على يدى الإزار

كآلوهـم ، كالفرهـه ا

... ..

(.. مابالنا نستذكر الماضي ، دعى الاظفار ..
لا تنبش الموتى ، نعرى حرمة الأسرار ..)

• • •

ياكم تمت زمرة الأشرار
لو مزقوا تنورة في الخصر .. بنية
لو علموك العزف في القيثارة
لتطريهم كل أمـ
حتى اذا انفضت أغانيك البمشقية
تناهبوك ؛ القادة الأقزام .. والإنصار
ثم رموك للجنود الانكشارية
يقضون من شبابك الاوطار !

• • •

الآن .. مهما يقرع الاعصار
نوافذ البيت الزجاجية ،
لن ينطفئ في الموقد المكشود رقص النار
تستدفيء الأيدي على وهج العناق الحار
كبي تولد الشمس التي نختار
في وحشة الليل الشتائية !

أيلول ١٩٦٦

عشاء

قصدهم في موعد العشاء
تطلعو الى برهة ،
ولم يرد واحد منهم تحية المساء !
... وعادت الأيدي تراوح الملاحق الصغيرة
في طبق الحساء
... ..
نظرت في الوعاء :
هضت : « وبحكم .. دمي
هذا دمي .. فانتبهوا »
.. لم يأبهوا !

وظلّت الأيدي تراوح الملاعق الصغيرة
وظلت الشفاه تلتقّ الدماء !

البطاقة السوداء

« إلى أنور المداوى »

أراه من نوافذ المترو .. على محطات الوقوف
مستندا بهكتفه اليسرى إلى الجدار
يدير في أصبعه سلسلة

فضية الاطار

يرقب — باسم — نزاحم المناكب القصير
تمسح عيناه زجاج النافذات الأبيض الشفيف ..
كأنه يبحث عن أحد .

كأنه يرقب من شرفته ،

هرولة السارين في تساقط الأمطار والبرد !

لكننى ..

حين استقرت عينه على :

أدبرت رأسى عنه ..

لم أقو على هريق عينيه الخفيف !

• • •

وحينا نحملنى وأصدقائى فى الطريق .. موجة المرح
ونسترد روحنا فى الضحكات والغناء .

أبصره .. فى الجانب الآخر . يرنو مستخفاً ، باسمها
فإن تجاوزناه .. ألقى عقب سيجارته على الطوار
وداسه مغمضاً ..

ثم اختفى ..

كانه شبح !

وفى طريق العودة الليلى .. ألقاه

يخرج من جوف الظلام فجأة .. على غير انتظار .

كان باباً — فى الشتاء — مغلقاً .. قد انفتح

كان تياراً من الهواء

يكنس من أعصاى الدفء .. وينسأه !
.. يمر لى ؛ مدثرا بالمعطف الثقيل ،
هاديء الخطى ،

تلمع فى الظلام عيناه
يسأل — هامساً — عن الوقت بلا اكتراث
ويحتفى ..
كأن احدى الشجرات احتضنته ..
صبرته بعض ظلها الكثيف !

وفى سويعات الضحى المشتمسة المعتدلة
حين تنقر العصافير ثمار التوت ،
مستدفئة من لذعة الخريف
أجلس فى المائدة المنعزلة ..
محدثا صديقتى ..

فى ذلك المقهى الريمى الأليف
— حيث يمر النيل راعيا مغنياً
ويرفع الصباح راية الفرع —

مرتشفين من عصير الكلمات .. والثمار
معتقين في ضمائر الحروف ..
وفجأة ..

يسقط من يدي القدح !
ألمح ممدا ساقيه في المائدة المقابلة
يرمقني من خلف نظارته السوداء خفية ،
مخبئا بهيمته خلف صحيفة الصباح .. المهمة !

• • •

وعندما دخلت ، باراداي ، في اليوم الأخير
رأيت .. يخترق المقاعد الملقاة .. والأضواء
ويفتح الصنبور
مشعث الشعر ، يضح قلبه بالرعب واللهات
.. تساقطت — قبل اغتساله — على الحوض النقي بقعة
لكنه لم يكثرث !
رجل في المرأة شعره الغزير
ثم دنا من جمع اصدقائي الصغير

قلبا عينين ثعلبتين في الوجوه ، صامتا
وفجأة ..

ألقي الينا ورقة دون اكتراث
ودون أن يلتفتا ؛

مضى الى الخارج ..
تاركا على المنضدة الحبرى بطاقة
.. كانت بطاقة سوداء ..

... ..

.. ومات في المساء !

لا أبكيه

مصر لا تبدأ من مصر القرية انها تبدأ من أحجار طيبة ،
انها تبدأ منذ انطبعت قدم الماء على الأرض الجدية .
ثوبها الأخضر لا يبل ، اذا خلعت .. رففت الشمس ثقوبه .
انها ليست عصوراً فهي الكل في الواحد ، في الذات الرحية .
أرضها لا تعرف الموت فما الموت إلا عودة .. أخرى .. قرية .
تعب القطرة في النيل فمن حولها الرقص وأعياد الخسوبة .
فاذا البحر طواها ، نفرت وأسترد الماء في الوادي دروبه .
وأعاد الماء للنيل هروبه وأسترد الماء في مصر العذوبة .
فسقى النيل به — ثانية — ظمأ البحر اذا ما مد كوبه !

هكذا شعبك يامصر ! له
 مات فيه الموت يوما .. فاهتى
 أبدا يبنى ويأتى غيره
 فاذا راح أهتى ثم اهتى
 وكأن الذل فى الشعب ضريبة
 وكأن الدم نيل آخر
 كل أنثاك يامصر مضوا
 الذى لم يقض فى الحرب قضى
 والذى لم يقضى فى القأس قضى
 اسمى فى الليل أنات الاسى
 انها اسماء من ماتوا .. ولم
 سيمودون ، فلا تبكى ، فما
 أترى تبكين من مات .. لكى
 والذى مات لكى ينفش فى
 ولكى يختزن الطفل حفيه
 ولكى يهوى حجاب الخوف عن

دوره الماء ونحوه الرطبة
 هرما للموت يستجلى غمومه
 ناشرا فيه أساه وحروبه
 فانتفى الغازى اليه بالعقوبة !
 وأبتسام الصبر قد صار ذنوبه
 تستقى منه الرمال المستطية
 شهداء الغد فى نبل وطية
 وهو يعطى القأس والفرس وجهه
 حاملا أحجار اسوان الرهية
 اسمى حزن المواويل الكمية
 يرحوا القلب فقد صاروا نلوبة
 يرتضى المحبوب ان تبكى الحبية
 تستعبدى راية الفكر السلية
 كل قلب ناشئ حرف العروبة
 ولكى تقات بالعلم الشبية
 روح ربات الحجال المسترية

ولكى يرفع سيف العدل في
والذى لولاه مامرت لنا
اترى تبكين بامصر ؟ أنا
شرف الأبناء أن يمضى أب
شرف للأب أن يمضى فلا
لما يلكى ضعاف الناس ان
وجه ابناء الممالك الغريبة
— في عبور النار للحرب — كية
لست أبكيه وان كنت ربيه
بعد أن قلم للمجد نصية
تعتري أبناءه الروح الزغبة
عجزوا ان يتركوا حجم المصيبة

م ١٩٧٣

العراف الأعمى

قولى من أين ؟

الصمت ضحكاً ..

والكلمات بلا عينين !

... ..

للمنى الليل .. وأدخلنى السرداب

(قدماى نسيتهما عند الاعتاب

ويداى تركتهما فوق الأبواب)

انك لا تدرين

معنى ان يمشى الانسان .. ويمشى ..

(بحثا عن انسان آخر)

حتى تتآكل فى قدميه الأرض ،

ويهنوى من شفثيه القول !

الآف الاوجه فى وجهى ..

لكنك لا تدرين

أى وجوه تتدلى منها بسمات الزيف

ضائعة المعنى ، متأكلة الانف

... ..

أرشق فى الحائط حد المطواة

والموت يهب من الصحف الملقاة

أتجزأ فى المرآة

يصفنى وجهى المتخفى بقناع الذل .

أصفعه .. أصفع هذا الظل

كل الناس يفارقهم ظلهم عند الليل

الا ظلى

ينسل معى ، يتمدد فوق وسادى المبتل !

البسمة حلم

والشمس هى الدينار الزائف

فى طبق اليوم

من يمسح عنى عرقى فى هذا اليوم الصائف ؟

والظل الخائف
يتمدد من تحتي ، يفصل بين الأرض .. وبينى ا

... ..

وتضاءلت كحرف مات بأرض الخوف :

(حاء .. هاء ..)

(حاء .. راء .. ياء .. هاء)

الحرف السيف

مازلت أرود بلاد اللون الداكن
أبحث عنه بين الأحياء الموقى .. والموقى الأحياء

حتى يرتد النبض الى القلب الساكن

لكن .. !!

... ..

وأخيرا عدت

أحمل فى صدرى صمت الطاعة

وبلا .. ساعة

ماجلوى الساعة فى قوم قد فقلوا الوقت ؟

ورجعتْ بدون كتاب غير كتاب الموت ،
وضجيج الناس

أغنية .. كقطيطة نعاس :

« لم نولد لنهر الدنيا »

« لم نخلق لنخوض معارك ! »

« نحن ولدنا ..

للالهام ..

للأحلام ..

للصلوات .. »

...

ضميني في صدرك .. حتى اتبأ

وأنا لا أكذب .. أو أقرأ !!

— ١٩٧٤ —

نجمة السراب

صديقتى شدت على يدي ..
وقالت : لن أزورَ غُرْفَتَكَ
إن شئت .. فلنَبْقَ معاً إلى الابد .
ولم أَرَدْ
لأن ثوب العرس — فى معارض الأزياء —
نجمة تلور فى سراب .
ولم أزل أدقُ باباً بعد باب
وخطوتى تنهيدة ، وأعينى ضباب
حتى بلغت غرفتى فى آخر المطاف
وقطعتى تلذذ ...
مواؤها : عذاب أنثى ليلة المخاض

أنتى وحيدة .. تلذ .
... وأخلد الجيران للسكون .
وقطّهم يجلس — فى الشباك — ناعس العيون
يلعق فى فرائه المنقط البياض
يلعق — عن فرائه — عذاب قطتى الممتد
.. سعت اليه ذات ليلة ،
ولم تسله ثوباً للزفاف !
لان ثوب العرس
— فى معارض الأزياء —
نجمة تدور فى سراب !!

أيدوم النهر

أيدوم لنا بستان الزهر
والبيت الهاديء عند النهر
ان يسقط خاتمنا فى الماء
ويضيع .. يضيع مع التيار
وتفرقنا الأهدى السوداء ..
ونسير على طرقات النار ..
لا نجرؤ تحت سياط القهر
ان نلقى النظرة خلف الزهر
ويغيب النهر .

أيدوم لنا البيت المرح
نتخاصم فيه ونصطليح
دقات الساعة والمجهول
تتباعد عني حين أراك
وأقول لزهر الصيف .. أقول
لو ينمو الورد بلا أشواك
ويظل البدر طوال الدهر
لا يكبر عن منتصف الشهر
آه يا زهر ..
لو دمت لنا ..
أو دام النهر .

مقدمة بقلم الدكتور عبد العزيز المقالح ٥

مقتل القمر	٤٣
الاهداء	٤٥
براءة	٤٧
طفلتها	٥٠
المطر	٥٧
قلبي والعيون الخضراء	٦٠
يا وجهها	٦٥
مقتل القمر	٦٨
شيء يحترق	٧٢
قالت	٧٥
ماريا	٧٧
استريجي	٨٢
العار الذي ننتقيه	٨٥
رسالة من الشمال	٨٧

٩٢	اوتوجراف
٩٤	شبيبتها
٩٧	العينان الخضراوان
.....	Petit Terianor
٩٩	الملهى الصغير
١٠٥	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٠٧	ديباجة
١٠٨	بكائية ليلية
١١٠	كلمات مبارتكوس الاخيرة
١١٧	الأرض .. والجرح الذي لا يفتح
١٢١	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٢٧	ايلول
١٣١	السويس
١٣٥	يوميات كهل صغير السن
١٤٣	اجازة فوق شاطئ البحر
١٤٦	موت مغنية مغمورة

الموت في لوحات	١٤٩.....
بطاقة كانت هنا	١٥٣.....
ظماً .. ظماً	١٥٧.....
الحزن لا يعرف القراءة	١٦١.....
بكائية الليل والظهيرة	١٦٤.....
اشياء تحدث في الليل	١٦٩.....
العشاء الاخير	١٧٢.....
حديث خاص مع ابي موسى الاشعري	١٨٠.....
من مذكرات المتنبى	١٨٦.....
تعليق على ما حدث	١٩١.....
في انتظار السيف !	١٩٣.....
فقرات من كتاب الموت	١٩٧.....
الحداد يليق بقطر الندى	٢٠١.....
صفحات من كتاب الصيف والشتاء	٢٠٥.....
تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات	٢١٠.....
ميتة عصرية	٢١٣.....

٢١٨	الوقوف على قدم واحدة
٢٢١	رباب
٢٣٣	حكاية المدينة الفضية
٢٤١	الضحك في دقيقة الحداد
٢٤٨	الموت .. في الفراش
٢٥٥	لا وقت للبكاء
٢٦١	العهد الآتي
٢٦٥	صلاة
٢٦٧	سفر التكوين
٢٧٤	سفر الخروج
٢٨١	سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس
٢٨٦	سفر الف دال
٢٩٨	مزامير
٣٠٨	من اوراق ابو نواس
٣١٥	رسوم في بهو عربي
٣١٨	خاتمة

اقوال جديدة غن -رب البسوس . . . ٣٢١

مقتل كليب ٣٢٣

لا تصالح ٣٢٤

اقوال اليمامة ٣٣٧

مراثي اليمامة ٣٤١

اشارات تاريخية ٣٤٩

تذييل ٣٥٤

اوراق الغرفة (٨) ٣٥٧

الورقة الاخيرة الجنوبي ٣٦٠

ضد من ٣٦٨

زهور ٣٧٠

السريير ٣٧٢

لعبة النهاية ٣٧٥

ديسمبر ٣٧٨

الطيور ٣٨٣

الخيل	٣٨٧
مقابلة خاصة مع ابن نوح	٣٩٣
خطاب غير تاريخي على قبر ملاح الدين	٣٩٧
بكائية لصقر قریش	٤٠٠
قالت امرأة في المدينة	٤٠٤
الى محمود حسن اسماعيل في ذكره	٤٠٨
تذييل	٤١٣
قصائد متفرقة	٤١٥
الى صديقة دمشق	٤١٧
عشاء	٤٢٢
البطاقة السوداء	٤٢٤
لا أبكيه	٤٢٩
العراف الاعمى	٤٣٢
نجمة السراب	٤٣٦
ايديم النهر	٤٣٨

THE
LIBRARY OF THE
MUSEUM OF NATURAL HISTORY

AMERICAN MUSEUM OF NATURAL HISTORY

NEW YORK